كتب الهلال للأولاد والبنات

الفروسيّة والعاطفة النبيلة



عنترة بن شداد

عبلة والصّبى المقاتل

كتبها: فاروق خورشيد • رسمها: شوقى متولى

ABLA WAL SABI AL MOUKATEL — MARCH 1984 KOTOB EL HILAL - AWLAD & BANAT

كتب الهلال للأولاد والبنات

تصدر عن مؤسسة دار الهلال

كتب الهلال ☾ للأولاد والبنات

مارس ١٩٨٤

سلسلة عنترة بن شداد (٢)



عنترة بن شداد

عبلة والصبى المقاتل

كتبها : فاروق خورشيد

رسمها : شوقى متولى



"عنترة" يواجه الأخطار

ارتفعت الصيحة فى كل أرجاء « الحلة » ومضارب عبس » :

ـ لقد مات العبد « ضاجر » .. قتله العبد « عنترة بن شداد » ..

لم يكن أحد يعرف من الذى جاء بالخبر ، ولكنه كان على كل لسان .. قالته آسماء لعبلة فهرب الدم من وجهها ، واندفعت الدموع إلى عينيها ، وهى تقول :

ـ سيتعرض « عنترة » لغضب عمى « شداد » ... فهو ما سكت عنه بعد قتله العبد داجى إلا إكراما للملك زهير .

ضحكت أسماء فى تشفٍ وهى تقول :

ـ منذ تدخل « مالك بن زهير » لصالح « عنترة » ، ومنذ توسط « زهير بن جذيمة » عند ابنه « شـاس » حتى لا يقتل « عنترة » ، و « عنترة » يظن انه أصـبح سيدا كالسادة .. ونسى انه لا يزال عبدا ، وان امه زبيبة ماتزال جارية « شداد » .

نظرت « عبلة » إليها فى دهشة ، وظلت صامتة للحظات لا تجد الكلمات المسعفة ، ثم قالت فى بطء وهى تنظر إلى عينى أسماء : ـ كنت أظن أنك تحبين « عنترة » ؟!

ضحكت « أسماء » وهى تقول : ـ كنت اعطف عليه وأرثى له ولأمه ، ولكن حين أصبح مغرورا ومتكبرا ، وحين بدأ يرهق الخيل ركوبا وركضا ، وحين بدا يسقيك أنت اللبن ثم يعطينى فضلات الاناء .. لم أعد أحس فى نفسى الرثاء له ولأمه ..

احمر وجه « عبلة » خجلا ، وأطرقت برأسـها وهى تقول : ـ اللبن !! ولكنه يعطيه لنا جميعا ...

وقالت أسماء : وليست الحكاية حكاية اللبن ، وإنما هو يقف كل غروب ليرقبنى وأنا أمشط لك شـعرك عنـد الغدير وفى عينيه نظرة ..

كان صوت « عبلة » ضعيفا وهى تقول : نظرة !! لمن»

قالت « أسماء » ، وهى بين العبوس والضحك العابث :
ـ كأنك لم تلحظى هذه النظرات ..

وأطرقت « عبلة » برأسها فى حياء ، ثم أسرعت تجرى إلى داخل الدار وهى فى فيض من المشاعر المتباينة بين الخوف على « عنترة » ، والدهشة من حديث « أسماء » وشىء يرتعش فى داخلها ، مما ذكرته عن نظرات «عنترة» إليها وهى تمشط شعرها الأسود الناعم عند الغدير ..

***

ونقل « شيبوب » الخبر لأمه « زبيبة » ، وشهقت فى رعب ملأ قلبها وقالت : ـ أنا السبب ، أنا السبب ..

ونظر إليها « شيبوب » فى دهشة ، وهى تقول فى نواح وكأنها تحدث نفسها : ـ أنا الذى أخبرته أن عبد « الربيع بن زياد » يخبر أباه كل ليلة بما يفعله فى المرعى ، من مران على الخيل ، وجرى بالرمح ، وضرب بالسهام ، وبالأمس ضربه أبوه حتى كاد يفقده الوعى . وأخبرته ، أن العبد « ضاجر » هو السبب ، هو و « سمية » التى كانت تخبره بأمر نظرات « عنترة » « لعبلة » ... أنا السبب .. أنا السبب ..

قال شيبوب : ــ كفى لوما لنفسك ، « عنترة » كان سيعرف الأمر ، سواء أخبرته أنت به أم لا .. « ضاجر » كان يكره « عنترة » منذ قتل صديقه « داجى » .. وماكان له أن يوقع بين عنترة وأبيه .. ثم هو عبد « الربيع ابن زياد » ، وعماره أخوه لا يطيق وجود « عنترة » فى الخيام ، بالقرب من « عبلة » .. لماذا لم تحك الخالة سمية لشداد عن نظرات « عمارة » « لعبلة » .. وعن تعقبه لها فى كل مكان .

نظرت « زبيبة » إلى « شيبوب » ، وقالت : ولكن عمارة سيد من سادات عبس يا « شيبوب » وهو كفء « لعبلة » بنت مالك .. أما « عنترة » ...

ضحك « شيبوب » ضحكة جافة وهو يقول : «عنترة» عبد ، مثلى ومثل « جرير » .. ومثل ..

ــ نعم ومثلى ..

سكت « شيبوب » لحظات ، ثم قال : ــ لا أقصد إيلامك يا أم ، ولكن « عنترة » يحس لنفسه إعزازا مم يجعله لا يقبل هذا الوضع .

صاحت « زبيبة » فجأة وقد لمعت عيناها فى غضب :

ــ ولا أنا يا « شيبوب » ، ولا أنت ولا « جرير » ..

ثم هدأ غضبها فجأة كما اشتعل فجأة ، وأطرقت برأسها في استسلام وهي تقول : ـ ولكنه قدرنا يا « شيبوب »، ولن يستطيع أحد أن يغير القدر .

رد « شيبوب » : « عنترة » ، يقول أن هذا القدر صنعه الفرسان القادرون الذين أسروك أول الأمـــر ، والذين وضعوك مكان الاماء ، ووضعونا موضع العبيد ..

ـ هذه شريعتهم في الحرب يا « شيبوب » ..

ـ ماشرعته الحرب تغيره الحرب ..

رفعت « زبيبة » رأسها وهي تقول في حدة :

ـ ماذا تعني يا « شيبوب » .. ؟

قال « شيبوب » : ـ من زمن وأنت تقولين لنا حين يجمعنا الخباء عند النوم : لو كنتم كبارا ، ولو كنتم فرسانا يهابكم باقي الفرسان ، ماكان هذا حالي ولا حالكم .. ثم تبكين ..

كان صوت « زبيبة » خافتا وهي تقول :

ـ ولكنكم مازلتم صغارا يا « شيبوب » ، و « عنترة » هو أصغركم سنا ..

ضحك « شيبوب » وهو يقول : ـ أصغرنا هذا ، قتل أقوى عبدين مخيفين من عبيد عبس كلها ، عبد شاس ،

وعبد الربيع بن زياد .. وليس هناك من العبيد من لايخافه ويخشاه ..

قالت « زبيبة » : أنا السبب مرة أخرى فى كل هذا ، فقد ملأت رأسه بالحديث عن عجزى وقلة حيلتى ، وعن حقوق الرجال والفرسان ، حتى ذهب يصنع من نفسه رجلا وفارسا ، وهو مازال فى هذه السن الصغيرة .. والآن وقع فى المحظور ، ولن ينجو من انتقام « الربيع » أو من عقاب أبيه ..

قال « شيبوب » : لقد فعل ما أحس أنه واجب ..

صاحت « زبيبة » وهى تقول : هو صغير على الموت ..

واشتد بكاؤها وهى تهمس بين دموعها : وأنا السبب .

***

ونقل « عنترة » الخبر بنفسه إلى « مالك بن زهير » الذى استمع إليه صامتا وهو يحكى له عن تحرش « ضاجر » به ، ومحاولته الدائمة السخرية منه فى كل مناسبة ، ثم كيف وشى به لأبيه « شداد » .. وحكى له لقائه « بضاجر » ، ذلك اللقاء الذى لم يستمر طويلا ... فقد ذهب إليه « عنترة » يلومه على ما قاله لأبيه ، وضحك « ضاجر » فى وجهه ، وقال له إنه لم يقل شيئا

لأبيه ، سوى أنه يخشى أن يقع من فوق ظهر أحد الخيول فيدق عنقه ، فهو مازال طفلا أسود ، من العبيد ، الذين يقضون وقتهم فى خدمة النساء والفتيات ، ثم أمـره أن يبتعد وهو يرفع عصاه ليضربه بها •• ولم يشعر «عنترة» إلا وهو يهجم على « ضاجر » ، وينزع عصاته من يده ، ثم يضربه بها ، فتهوى الضربة عليه عنيفة ، ويقع مضرجا فى دمائه ، وقد أسلم الروح ••

قال « مالك » وهو يجيل بصره إلى « عنترة » : ضربة العصا ، ووراءها قوة كقوتك هذه ، كفيلة بقتله ••

قال « عنترة » : ولكنى لم أكن أقصد قتله ••

قال « مالك » : حاذر من الآن وأنت تستعمل قوتك •

قال « عنترة » : لقـد أغضبتنى وشايته بى لدى أبى ووقاحة « ضاجر » فى مخاطبتى •

فتنهد « مالك » وقال : ـ سأحاول أن أجد حلا لهذه القضية ، ولو أن الأمر فيها محفوف بالمشاكل ونهض متجها إلى مجلس أبيه الملك « زهير » •

***

عندما دخل « مالك » مجلس أبيه زال قلقه عندما وجد « الربيع » و « شداد » فى المجلس ، فحيا الجالسين ،



نظرت "عبلة" إلى أمها "أسماء" في دهشة وقالت :
- كنت أظن أنك تحبين "عنترة" يا أماه ! !

وأخذ مكانه إلى جوار أبيه ، وأخذ فى الحديث الدائر بعض حين ، ثم التفت إلى الربيع قائلا : — فى كل بنى عبس يا ربيع ، لا أجد أحدا يفهم فى قيمة العبيد مثلك ، فعبيدك أنت أحسن العبيد فى بنى عبس ..

وابتسم الربيع فى ارتياح ، وقال : عبيدى عبيدك أيها الأمير « مالك » ، إنما الأمر كله ، أمر العناية بهم وتنظيم أمورهم ..

قال « مالك » : فلو طلبت عبدا من عبيدك، أتبيعه لى..؟

ضحك « الربيع بن زياد » ، وهو يقول : بل أهب لك ما شئت من عبيدى أيها الأمير « مالى » ، فرضاؤك عنهم مديح لى لا أستحقه ..

قال « مالك بن زهير » ، عبدك ضاجر ، إنى معجب به ..

رد عليه الربيع على الفور قائلا : — فهو لك ..

— ما كنت لأقبل هدية وهبت فى حماسة الانفعال .

ضحك « الربيع » ، ثم قال : — أنتم تعرفون صدق كلمتى . وقد وهبت العبد « ضاجر » للأمير « مالك بن زهير » هبة كريم لا ترد له هبة ، ولا تنتقص له كلمة ..

قال الملك « زهير » : لا يشك أحد فى كلمة يقولها « الربيع بن زياد » ، ولا يرد أحد هدية قدمها .

ضحك « مالك » ثم قال : أنا لم أشك لحظة فى صدق كلمة « الربيع » ، وإنما كنت أريد أن تكونوا شهودا على هذه الهدية ..

قال « شداد » : لماذا هذا الحديث عن « ضاجر » .. ؟

قال « مالك » : ـ أبدا ، لا شىء ، فقط لقد مات العبد « ضاجر » ، وأنا أهب دمه لمن قتله ..

صاح الربيع : « ضاجر » قتل ، الويل لمن قتله !!

قال « مالك » : لماذا الاهتمام بموته ، أو عن قتله .. ألم تسمعنى أقول أننى وهبت دمه لقاتله ..

عاد « الربيع » يقول فى انفعال : لابد من الانتقام له .

قال « مالك » : لم يعد عبدك لتهتم بالانتقام له ، لقد وهبته لى ، والمجلس هنا شهود عليك .

قال الربيع : لقد خدعتنى يا « مالك » ، كنت تعرف أن « ضاجر » قد قتل ، وكنت تحاول أن تحمى قاتله ، وهذا يحلنى من ..

قاطعه الملك « زهير » قائلا فى حدة : هذا لا يحلك من شىء يا « ربيع » .. وأيا كان غرض « مالك » من طلبه « ضاجر » كهدية ، فأنت قد أهديته له أمامنا جميعا ، ولا يحق لك لأى سبب أن تخلف كلمتك ...

لم يقل « الربيع » شيئا . ولكن « شداد » اندفع يقول : ــ من القاتل الذى تحميه يا « مالك بن زهير » ؟!

قال « مالك » : ــ وما الفرق إن كان زيدا أو عبيدا ، لقد أخطأ « ضاجر » فى حق إنسان شهم لا يرضى الهوان، وتعاتبا فتعاركا ، ولم يقدر « ضاجر » قوة من أساء إليه ، وكانت النتيجة أنه دفع حياته ثمنا لنميمته ووقيعته ، ثم ثمنا لجهله بقيمة من يواجهه واستهتاره به ..

شحب وجه « شداد » ، واندفع يقول فى عصبية :

ــ قلبى يحدثنى أن « عنترة » وراء هذا ، فما عهدتك تتحمس إلا له ..

وقال « مالك » : هل أساء إليه « ضاجر » ؟!

تلعثم « شداد » ، وتردد لحظات ، ثم قال : لقد أخبرنى « ضاجر » بما كان يفعله « عنترة » بالجياد فى المراعى ، وكأنه يظن نفسه فارسا من فرسان عبس فعاقبته ..

صاح الربيع : إذن فهو عنترة ، سيلقى جزاءه ..

كان فى صوت الملك « زهير » حدة وهو يقول :

ــ كفى يا ربيع هذا أمر انتهى ، « ومالك » قد وهبه دم « ضاجر » ، ثم إن « ضاجر » عملاق ، يعرف وهو يهاجم « عنترة » أنه يهاجم صبيا ليس من سنه ، ولا من

حجمه ، فعليه وحده تقع تبعة ماحدث ..

صاح « مالك » : ــ صدقت يا أبى ، حكمتك أيها الملك تفوق كل حكمة ..

وعاد « الربيع » يقول : ولكن « عنترة » لابد أن يدفع ثمن جريمته ..

قال « زهير » : لقد أجاره « مالك » ..

وعقب « مالك » قائلا : ومن أراد أن ينال « عنترة » بسوء ، فعليه أن يمر عبر سيفى أولا ..

وعاد « زهير » يقول : وما « ضاجر » إلا عبد ، وأنت أهديته « لمالك » ، وأنا أهديك بدلا منه عبدين من أقوى عبيدى ، أراض أنت الآن يا « ربيع » ؟

أطرق « الربيع » وهو يقول : رضيت أيها الملك ..

والتفت الملك « زهير » إلى « شداد » قائلا :

ــ وأنت يا « شداد » ، هل تنقض حكمى ؟

أطرق « شداد » برأسه وقال : إن كان « الربيع » قد رضى ، فأنا راض ، ولا أعصى لك أمرا ..



"شدَّاد" ومؤامرة ضد "عنترة"

كان الجمع الذى التف حول « شداد بن قراد » فى قاعة داره يخيم عليه الوجوم والقلق ، فقد كان «شداد» منذ دعاهم إليه مطرقا إلى الأرض ، مكفهر الوجه ، لايكاد يرفع عينيه فى وجوههم . وكانوا جميعا آخوته ، وبعضا من فرسان عبس ، الذين جمعته وإياهم الغزوات والمعارك ممن تعودوا أن يتشاوروا فى أى أمر يلم بأحدهم .. وقطع « مالك بن قراد » أخو « شداد » الصمت بقوله :

ـ ليس من داع لكل هذا التردد يا « شداد » ، فنحن نعلم لماذا دعوتنا .. إنه أمر هذا الكلب الأسود ابن زبيبة ، وقد ابتليتنا به من حيث لا نحتسب ، فلماذا التردد ..؟

رفع « شداد » رأسه ونظر إليهم وهو يقول :

ـ هو ابنى .. لا ينسى أحد منكم هذا ..

قال « معاوية بن قراد » :

ـ فلماذا جمعتنا إذن ، إن كنت تخاف عليه من الجزاء العادل الذى ينبغى أن يناله ..

عاد « شداد » يقول :

ـ إنه فى جيرة « مالك بن زهير » ، ولست أريد إغضاب « مالك » ..

ضحك « الحرث بن شهاب » ضحكة جافة وهو يقول :

ـ ستجتمع فرسان تمثل كل عائلة من عائلات عبس ، ولن يعرف « مالك » على من يصب جام غضبه منا ، ولو فعل لفقد مكانته فى القبيلة ..

وقال « شداد » : وبهذا ننقض حكم الملك « زهير » ، ونفعل عكس ما أراد ..

قال « عامر بن ناقد » مشاركا فى الحديث لأول مرة :

ـ الملك « زهير » معجب « بعنترة » وطموحه وشجاعته ، وقد وقف ضد ابنه شاس حين أراد الانتقام منه لقتله العبد داجى ، أفضل عبيده إليه .. ولن يغفر لكم أبدا قتل « عنترة » مهما سقتم إليه من حجج ...

اندفع « مالك بن قراد » قائلا :

ـ إن « عنترة » أحمق ، وأخشى أن يقتل سيدا كبيرا ،

أو أميرا خطيرا من أصحاب الحسب والنسب ، فيجر علينا الويلات ، ويدخل كل عبس فى صراعات لن ترضى الملك « زهير » ، ولن تعود بالخير على عبس كلها ..

قال « عامر بن ناقد » : ربما كنت على صواب فى هذا يا « مالك » ، فلو أن هذا العبد كان يتصف بالحكمة والتعقل والتبصر بالأمور ، لأصبح كسبا لعبس لامثيل له.

عاد « مالك » يقول وقد أحس أنه قضى على معارضته — ولكنه مندفع وأحمق ، لا يعرف مايملك من قوة ، وقد أثبت هذا مرتين ..

قال « شداد » : إذن لقد قر قراركم على قتله ..

صاح « مالك » محذرا : إنه القصاص منه على ما فعل « بداجى » و « ضاجر » عبدى « شاس » والربيع ..

قال شداد : — وما القصاص إلا القتل .

عاد « مالك » يقول : القتل لمن قتل .. وهو قد قتل مرتين ، فحق عليه القصاص العادل ..

ضحك « عامر بن ناقد » وقال : فقط لا تقتلوه فى الحلة ، وإنما ارسموا خططكم لأخذ قصاصكم هذا منه فى المراعى بعيدا عن الأنظار ، حتى لا يقال أن سادات عبس



قال "مالك" : لم يعد عبدك لتهتم به ، لقد وهبته لي ، والمجلس هنا شهود عليك

تكاتفوا على قتل عبد من عبيدهم ، وهو على هذا غلام صغير .

قال « شداد » : ألا توجد وسيلة أخرى غير هذه ؟!

قال « مالك بن قراد » : انك تتردد فى قتله ؟ ! إن أول من سيطالب بدم قتلاه هو أنت ، ثم لا تنسى أن بقاءه فى الحلة يسبب القيل والقال حول « عبلة » ..

عاد « عامر بن ناقد » يضحك وهو يقول : ما هـذا الكلام يا « مالك » ، ماهى إلا فتاه صغيرة !! .. وما هو إلا صبى صغير ! !

قال « مالك » : صغيرة أو غير صغيرة ، وطفل أو غير طفل ، لست أرضى بهذا التعلق الشديد الذى يربط بينهما .

قال « شداد » محذرا : حذار يا « مالك » ، نحـن نقتص منه لقتله العبدين ، ولسنا نقيصه خوفا منـه على « عبلة » .. وليكن هذا واضحا من الآن ..

ضحك « معاوية بن قراد » ، وأخذ يعبث فى لحيتـه وهو يقول : إذن فهناك شىء دفين فى النفوس ، « مالك » يخشى على ابنته « عبلة » ، و « شداد » لا يريد أن يعترف بعنترة ابنا له ، وكل العبيد يريدون هلاكه لأنه يذكـرهم بتمرده بذلتهم .. و ..

كان « معاوية بن قراد » آخو « شداد » قليـــل الكلام ، ولكنه كان حين يتكلم يرغم الجميع على الاستماع اليه والاصغاء إلى حديثه ، فقد كان حديثه دائما يكشف مافى دخائل النفوس ، وما يخفيه ظاهر الناس من باطـن لا يحبون أن يراه أحد .. وصمت الجميع بينمـا عاد يقول : لا العبد « داجى » ولا « ضاجر » ممن يبكى عليهم فكلاهما من سفلة العبيد وأحطهم شأنا ، وكان كلاهما يلحق الأذى بالعجائز والصغار والضعاف ، ويسومونهم الهوان ، فما كل هذه الضجة حول موتهما ؟! ، وقد ماتا معتديين يحاولان بنذالة قتل صبى صغير !!

وعاد يقول : العبد الصغير تمرد على العبودية ، ورفض الهوان ، وأراد أن ينال مكانه من أبيه ، الفتى الصغير رفض أن تهان العجائز والضعاف فصارع وصمد وانتصر ، الولد المقصى عن مكانه للونه وهوان أمه ، يريد أن يحفر مكانه بفعاله . كل هذا يملأ القلوب الصغيرة بالحقد ، والقلوب الكبيرة بالخوف فتتصاغر وتتضاءل ..

ثم أجال بصره فيهم لحظات وقال : لست معكم فيما تقولون ، ولو أنى أسجل بهذا ضعفى ، إذ كان ينبغى أن أمنعكم عن هذا الفعل الصغير الذى تنوونه ، لأنى أعرف

أن بعضكم يريد إرضاء « شاس » وبعضكم يريد إرضاء « الربيع » ، وأن كلكم يريد أن يمحو من الوجود رمزا ، يؤكد له بوجوده أن شيئا ينقصه ، وأن العبد الصغير أكبر منه وأكرم ..

وصمت « معاوية بن قراد » ، ثم ابتسم وهو يقول فى مرارة : كان جديرا بالأب أن يكون فخورا بمثل عنترة ، وكان جديرا بأعمامه أن يحسوا بالزهو به ، ولكن ؟ .. وتنهد وهو ينهض واقفا ويقول : لابد مما ليس منه بد .. ولن يغير إنسان قدرا .. أترككم لما أنتم فيه .. ولو أنى أتمنى لكم الفشل والخيبة .

ولملم ملابسه حوله ، وانتعل خفه ، ومضى فى بطء خارجا .. وظل الوجوم مخيما على الجالسين حول « شداد » .. وكل منهم يحاول أن يتجنب النظر فى عينى الآخر .. ثم تنهد « شداد » ، وهب واقفا ايذانا بانتهاء الجلسة وهو يقول : — لا عليكم من حديث أخى معاوية ، نلتقى غدا عند حنية الجبل ، ولنتلثم ونكمن له، فاذا ما أقبل انتهينا من أمره ..

***

قالت « عبلة » فى حدة مخاطبة اسماء : لقد برآه الملك

« زهير » ، فلم يعد مطالبا بدم « ضاجر » .

قالت « زبيبة » فى اندفاع ، وهى تضحك وتبكى فى آن واحد : إنه كان يدافع عن نفسه ، وهو برىء وطيب ، وهو ابنى ..

نقلت أسماء بصرها بين « عبلة » وجارية أخى زوجها ، ثم قالت : ماجدوى الحديث معكما ، وأنتما لا تريان فى الدنيا إلا «عنترة» .. ومهما فعل فهو مقبول عندكما ..

قالت « عبلة » : كل الصبيان والبنات فرحون به .

وقالت « زبيبة » : وأيضا كل العجائز والاماء فرحات بتخليصهن من « ضاجر » و « داجى » قبله ، لقد جئن إلى واحدة واحدة وقلن لى هذا ..

قالت أسماء فى حزم :

ـ قلنه لك همسا طبعا .. أما الحقيقة فهى أن كل العبيد فى الحلة يخافون منه ويخشونه الآن أكثر من خوفهم وخشيتهم من داجى وضاجر .. والحقيقة أيضا أن كل سادة عبس وفرسانها يخشون أن يقوده تهوره إلى فعل أحمق يجر القبيلة كلها إلى مشاكل لا يستطيع أحد التصدى لها . الحقيقة يا زبيبة ، والحقيقة يا عبلة ، أن « عنترة » قد أصبح أشد خطرا وفتكا من « داجى » و «ضاجر» ..

صاحت « عبلة » : ما هذا الكلام يا أماه .. « عنترة» له خلقة ومثله ..

وصاحت زبيبة : عنترة لم يضرب إلا دفاعا عن العجائز والضعفاء ..

قالت « أسماء » فى إصرار : فى البداية ربما .. ولكن ما القول حين يعتز بقوته ، وتغريه سطوته ، آلن يتحول إلى عبد مؤذ كالعبيد الذين واجههم ؟ .

ضربت « عبلة » الأرض بقدمها فى غضب وهى تقول :

ــ « عنترة » لا يجب أن يؤذى أحدا ..

وصاحت « زبيبة » وقد كف ضحكها ، ولم يعد فى صوتها إلا البكاء : ولكن الكل لا يريد إلا إيذاءه والاساءة إليه ، وها أنت ياسيدة « أسماء » تؤذينه حتى فى المستقبل.

قالت « أسماء » : « عنترة » ينسى مكانته ، وما يفعله اليوم وهو صبى ، سيفعله أضعافا مضاعفة وهو شاب ، ثم وهو رجل ..

قالت « عبلة » : « عنترة » لا يرضى بمكان وضعه فيه الظلم ، وسينتصر ، ويحصل على ماهو جدير به ..

قالت « أسماء » : وما مكان العبد يا « عبلة » ؟ .

ــ ليس عنترة عبداً ، وإنما هو ابن عمى « شداد » ،

وهو حر .. حر .. حر ..

قالت زبيبة وهى تكفكف دمعها : نعم هو حر ، وماولدت زبيبة عبدا .. وما صنعه الرجال بسيوفهم ، يغيره ابنى بسيفه .. هو حر .. حر .. حر .

***

لم يكن « عنترة » يجد مايقوله ، فقد وقف أمام الأمير « مالك بن زهير » مطرق الرأس ، مغرورق العينين بدموع الامتنان والفرح .. وربت الأمير مالك على كتفيـه ، وهو يقول : لم يعد هناك ما تخشاه يا « عنترة » ، فأنت منذ اليوم لا يطالبك أحد بدم « ضاجر » ..

كان صوت عنترة متحشرجا مترددا ، وهو يقول :

ـ لقد وضعتك أيها الأمير فى موقف حرج مرة أخرى، ولكنى لم أجد عقلا فاهما ، ولا نفسا طيبة ألجأ إليهـا إلا أنت ..

قال الأمير مالك : لا عليك يا « عنترة » .. إن الكثيرين منا يرجون منك غدا أفضل لعبس .. فقد طال هذا الظلام الذى يخيم على القبيلة .. وآن الأوان لصوت جديد ، ورؤية جديدة لوضع الانسان فى القبيلة ..

رفع « عنترة » عينيه وهما تلمعان فى انفعال وقال :

ـــ إذن فأنت رغم أنك من الأمراء ، وأنت ابن الملك « زهير » نفسه ، تحس أن مايحكم وجود الانسان فى قبيلتنا شىء ظالم وجائر ..

ضحك « مالك » ضحكة قصيرة ثم قال فى هدوء : إننا نقول أشياء كثيرة عن الكرامة والشهامة والنجدة ، ولكننا نمارس فى حياتنا الاذلال والطغيان والخسة .. كثيرون منا يحسون أن الألفاظ التى نتحدث بها قد فقدت معانيها ، وأنها أصبحت سخرية حقيقية لا تقنع أحدا ، ولا يصدقها أحد .. فنحن فى القبيلة سادة وعبيد والسادة يغارون من انتماء أحد إليهم ، ولذلك فهم يحرصون على تأكيد أحقيتهم فى السيادة بحفظ جداول الأنساب أبا عن جد ، عن جد إلى أقدم جد ممكن .. فهم سادة أبناء سادة ، ورثوا السيادة جيلا وراء جيل ، ولا هم لهم إلا حمل السيف وركوب الخيل وقول الشعر .. أما العبيد ، فعليهم العمل والرعى وحفظ المال والمتاع .

ابتسم « عنترة » فى مرارة وهو يقول : أنت تنسى جز الصوف ، وحلب الألبان ، وتنظيف الدور والخيام ، وتطبيب الابل وتمشيط الخيول ، وطهى الطعام ، وغسيل القدور ، وسقى الغنم والابل ، ورعاية الأطفال ، وقضاء



كان الجمع الذى التف حول "شداد بن قراد" فى قاعة داره يتشاورون
فى أمر "عنترة" وكيفية التخلص منه

الحاجات ، والجرى فى ركاب السادة .

قال الأمير « مالك » وهو يضحك : أنت أدرى بواجبات العبيد يا « عنترة » ، وأنا لا أعرف إلا أننى آمر فيتم تنفيذ ما آمر به .. أما ماوراء تنفيذ هذه الأوامر من عناء ، فأمر لا يعرفه السادة من أمثالى .. أفهمت الآن يا « عنترة » ..؟

ـ سيدى الأمير مالك ، ربما كان الأمر بالنسبة لك أمر فهم وإدراك ، وإنما هو بالنسبة لنا معشر العبيد أمر عمل وعرق ودموع وآلام ومرارة ..

وأطرق لحظات ثم قال : ويأس ..

ضحك الأمير « مالك بن زهير » ، وقال :

ـ يأس ؟ أمثلك ممن يتحدث عن اليأس يا عنترة ؟! .. لا أظن أنك تعرف معنى لهذه الكلمة !! .. فأنت لم تعرفها وأنت تواجه اعتداء « داجى » بقوته ، ولا وقاحة « ضاجر » وجسده الضخم وشهرته العريضة بالقوة والوحشية .. لا يا « عنترة » ، لأنك لا تعرف معنى لهذه الكلمة فأنا أقف إلى جوارك دائما ، وأنت لا تعرف كم من الرجال يرون فيك مثلا وقدوة وأملا ..

قال « عنترة » : هذا كثير أيها الأمير .. ما أنا إلا عبد لا يرضى العبودية ، وإنسان يريد الخلاص من الذل الذى

وضعته فيه قواعدكم وتقاليدكم ..

قال الأمير « مالك » :

ـ أول من يجب أن ينشد الخلاص من هذه القواعد والتقاليد هم السادة ، فهى حقا تحفظ لهم سيطرتهم وثراءهم وتنعمهم ، ولكنها تقف بهم فى آماكنهم .. فهم يحافظون على اليوم والآن ، ويهدرون الغد والمستقبل ..

كان « عنترة » يحاول آن يتابع حديث الأمير مالك ، وقد خيل إليه أنه لا يدرك كل المعانى التى يحتويها كلام الأمير « مالك » .. فعاد يقول فى إصرار : ما آنا إلا عبد لا يرضى العبودية أيها الأمير « مالك » ..

ضحك الأمير « مالك » ، وظل يضحك وهو ينظر إلى وجه « عنترة » الذى وقف حائرا ، لا يعرف ما الذى سبب كل هذه الموجة من الضحك التى انتابت الأمير .. ثم أخذ « مالك » يتمالك نفسه تدريجيا ، وربت على كتف «عنترة» وهو يقول : لا بأس بهذا الآن .. أما حين تكبر فسيكون الأمر عندك أكبر من هذا بكثير ، ولكن احترس لنفسك يا « عنترة » .. فأنت منذ الآن هدف لكل من يريد أن يجهض كل صوت ، ولو كان همسة تشير إلى الرعد القادم والعاصفة الموشكة ..

ولم يجد « عنترة » كلمات يرد بها على حديث الأمير .. فتلجلج وارتج عليه ، ولكن الأمير « مالك » دفعه إلى باب الدار ، وهو يبتسم فى وجهه ابتسامة مشـــجعة ، ويقول : احترس لنفسك يا « عنترة » .. ولا تنس أبدا أننى صديقك .. وأننى لن أتردد فى مد يد المعونة إليك حين تحتاجها ..

***

استمع شيبوب إلى حديث « عنترة » حتى نهايتـــه ، ثم قال : ـ أنا مثلك لا أفهم ماتعنى كلمات الأمير «مالك»، ولكن مثله لا يلقى كلاما بدون معنى أو هدف ، فما دام قد قال لك احترس ، فلنحترس إذن ..

قال جرير : يحترس ممن .؟ من الذى يهتم بأذيتنا ؟ ! العبيد أصبحوا يخافون « عنترة » ، ولن يجرؤ واحـــد على التعرض له من اليوم .. أما الآخرون ، فما «عنترة» وما نحن بالنسبة لهم ؟!

قال « شيبوب » : أنا لا أخالفك فى هذا يا « جرير » ، ولكن « عنترة » أغضب السادة حين تفوق على العبيد ..

ضحك « عنترة » وهو يقول : كلامك هذا يشبه كلام الأمير « مالك » ، وأنا أيضا لا أفهم ماوراءه ، ولـــكن



ربت الأمير "مالك" على كتف "عنترة" وهو يقول :-
- لم يعد هناك ما تخشاه .. أنت منذ اليوم لا يطالبك أحد بدم ضاجر

الذى حدث أن السادة غضبوا لهزيمة عبيدهم .

قال « شيبوب » : فى جدية وهو يعد على أصابع يده :

ـ الأمير « شاس » ، الربيع بن زياد .. وأولا وأخيرا « شداد بن قراد » ..

ـ أبى !! لست أظن أن أبى يحمل عداوة لى ، إنما هو يربينى كما يربى الآباء أبناءهم .

قال « شيبوب » فى إصرار : « شداد » لا يملك أن يخالف رأى الفرسان من بنى عبس ..

قال « جرير » : ـ و « شداد » لا يعترف بأبوته لك ، إنه لا يعاملك إلا كعبد يملكه ، مثلى ومثل « شيبوب » .

قال « عنترة » فى حنق : ولكنه أبى ...

فعاد شيبوب يقول : هو أبوك ، وهو ينظر لك كفرس حرون ، فلتسمع كلمات الأمير « مالك » ، احذر يا « عنترة » ، إحذر كل إنسان !

ـ حتى أبى ..

ـ حين يعترف بأبوته لك فأنت ابنهأما الآن فأنت عبد . لا يسأل عن دمه ان قتله ..

وقال « جرير » : ولكنه يسأل عن كل دم تريقه !!

ـ وكيف الحذر ؟! وأنا لابد آن آذهب إلى المراعى ؟!

قال « شيبوب » : فى كل مكان ستكون فيه ، يراقب أحدنا مكانك من الأمام ، والآخر يراقبه من الخلف .

قال « عنترة » : أنتما ..؟ ولكن المال من يحرسه إذا كنتما ستحرسانى أنا .. ؟

قال « شيبوب » : سنقسم المال من أبل وأغنام بيننا ومعنا أمنا « زبيبة » ، ونوزع أماكننا بحيث تظل أنت وما معك من مال تحت حراستنا الدائمة واليقظة .. وحين تذهب ، وحين تعود ، أتقدم أنا القطيع كله بمسافة ، ويتأخر « جرير » وراء القطيع حتى نحذر أى غدر أو شرك ..

قال « عنترة » : لن تغفل لى عين من اليوم ، ولكن هذا لن يصرفنى عن مرانى اليومى على الفروسية وإصابة الهدف ومقاتلة وحوش البر ..

كاد « جرير » يعترض ، ولكن شيبوب أسكته بحركة من يده ، وقال : لك هذا يا « عنترة » .. ولن أكف أنا أيضا عن مرانى فى تعقب الأثر ومجاراة الابل السريعة فى عدوها ، ولكننا دائما سنكون على حذر ..



فجأة رفع "عنترة" بصره إلى أعلى فرأى اللبوءة تتحفز فوق صخرة من منحنيات الوادي ، وتسمر "عنترة" في مكانه



صراع فى وادى السباع

أوغلت « زبيبة » فى الصحراء بما ترعى من ابل وأغنام ، وكأنها تريد أن تبتعد عن منازل بنى عبس ، مسافة من الصحراء تشعرها بالأمان على نفسها وأولادها ، ذلك الأمان الذى لم تعد تحسه فى الدار ، ولا فى نظرات « أسماء » ، ولا فى حديث النسوة من بنى عبس اللاتى ازددن تعاليا وكبرا ، ولا فى حركات الجوارى والاماء من عبيد بنى عبس اللاتى كن ينظرن إليها فى حذر وخوف .

وكانت لحظات الفجر الرقيقة الهواء قد مضت من زمن، وبدأت الشمس ترسل حرها اللافح الذى يزداد مع مرور الساعات حدة وشدة .. وتلفتت حولها تنشد مكانا يتيح لها بعض الظل ، فوجدت أكمة مخضرة تقف فى بسالة وسط الصحراء الجرداء ، وشجيراتها القصيرة تتحدى

الرمال والجفاف والشمس اللافحة ، فاتجهت تسوق أغنامها إليها ، وعندما وصلت إلى الشجيرات وجدت أولادها قد سبقوها إلى هناك ، وأقاموا لها من العصى والملاءات ظلة صغيرة فى ظل الشجيرات القليلة ، ووضعوا لها حجرا وسطها غطوه بالملاءات فجلست وهى تتلفت حولها تستوعب المكان كله بعينيها ، الرمال المنبسطة تكاد تحترق تحت وهج الشمس ، ومن بعيد تل صغير ، ثم جبل عال ، وراءه وادى السباع الذى يخشاه كل الرعاة ، ففيه تعيش لبؤة مخيفة وأشبالها الصغار ، وكم سرقت هذه اللبؤة النوم من عيون حراس الابل والجياد ، فهى تكمن حيث لا يتوقعها أحد ، ولا تختار صيدها إلا من أسمن الماشية وأجودها ، ثم تفاجىء فريستها فجأة فاذا هى صريعة تتخبط ، وتجرها جرا ، أيا كان حجمها وثقل جسدها إلى مخبئها الذى لايعرفه أحد لتطعم لحمه لأشبالها الصغار .. وهى لا تعبأ بمن يتصدى لها من الرعاة ، فهى تفتك بهم كما تفتك بفرائسها من الماشية ، وهى تحملهم حملا إلى أشبالها ، فيجعلون منهم طعام يومهم .. وأحيانا كانت تفضل أن تكون فرائسها من الآدميين .. فمنذ ذاقت طعم اللحم البشرى وهى تقطع الطريق على المسافر المنفرد ،

تفتك به وبحصانه ، أيا كان بأسه وأيا كانت شجاعته ..

واقشعر بدن « زبيبة » وهى تتذكر تلك الحكايات المخيفة التى كان العبيد يحكونها فى سمرهم .

قال « جرير » : الماء إلى جوارك يا أم .

بينما كان « شيبوب » يضع إلى جوارها ، ماجاء به من زاد ، ويقول : وهذا ما أعددته لنا من طعام ، بعد أن ينتصف النهار بقليل سنعود هنا إليك لنأكل معك ، فان تأخرنا عليك فلا تنتظرى رجوعنا .. وكلى وحدك ..

وكان هذا أمرا عاديا يحدث كل يوم ، إما يأكلون معا ، وإما يأكل كل وحده ، ولكنها لا تدرى لماذا تخشى هذا النهار ، وبهذا الاحساس الغريب الذى دفعها إلى الابتعاد كل هذا البعد عن الحلة .. فقالت « زبيبة » : بل تحضرون جميعا لنأكل سويا .. ولا تبتعدوا كثيرا عن هذا المكان .. وبعد لحظات أضافت : وحذار أن يدخل أحدكم وادى السباع ..

ضحك « شيبوب » وهو يغادرها مسرعا ، وقال : --

- لا تقلقى يا أم ، وسنحاول أن نكون معك عند الغداء .

وصحب « جرير » معه ، ثم أسرعا يجريان تجاه باقى القطيع الذى أوقفه « عنترة » على بعد من مكانها ..

وأخذت « زبيبة » تتبعهما بعينيها وهما يسابقـان الريح ، ولم تملك نفسها من الابتسام .. لقـد كبر « جرير » و « شيبوب » ، وغدا قويين ماهرين .. وهذه السرعة فى جريهما تجعلهما يتفوقان بها على كرام الخيل ، وخاصة « شيبوب » الصغير ، ذلك الماكر الذكى الذى يتقن كل الحيل ، ولا يتورع عن اختراع الأكاذيب .

إنه يختلف تماما عن « عنترة » ، و « عنتـرة » على ذكائه لا يعرف الخداع أو المواربة ولا يعرف الـكذب ، « عنترة » صريح كضوء هذا النهار ، مكشوف لكل عين كرمل هذه الصحراء الممتدة ، نقى السريرة كماء هذه العين الرقراق .. كم تخشى عليه من نفسه ، قبل أن تخشى عليه من الآخرين ، فهو رقيق فى أعماقه رقة غريبة ، لا يطيق أن يرى إنسانا يتألم ، وتهزه الكلمات ، وتأسره ابتسامة رقيقة ، ويؤرقه الجمال .. هى تعرفه .. أليست أمه ؟ تراه يتابع بعينيه « عبلة » ابنة « مالك بن قراد » .. وفى عينيه شىء كالاجلال والحب الصافى العميق .. يقـوم لقيامها ويمشى لمشيها ، ويجلس حين تجلس ، وفى العين سر مكشوف ، إن خفى على كل الناس فلن يخفى على عينى أم تحب ابنها وتعرف سريرته وحنايا قلبه ، ومعنى

خفق هذا القلب ..

وتنهدت « زبيبة » .. إنه حب يائس ، حب « عنترة » هذا ، فعبلة بعيدة عنه ، كقرص الشمس المتوهج البعيد : من نظر إليه أعشى عينيه بوهجه ، ولكنه على هذا الدفء والحياة .. وماذا ستفعل .. هى عاجزة عن الوقوف الى جوار هذا الحب الوليد .. كم تحب « عبلة » ، لقد حرمت من إنجاب البنات ، فهى لم تنجب إلا الصبيان ، كم كانت تحلم بطفلة صغيرة رقيقة « كعبلة » ، تلاعبها وتضفر لها شعرها . وتضع لها زهرات فى هذا الشعر .

***

كان « مالك بن شداد » هو أول من لمح الخباء الذى جلست فيه « زبيبة » ، فرد فرسه بعنف حتى كاد يصطدم بالفارس الذى يسير وراءه ، ورفع يده وهو يقول :

ـ هاهو الخباء و « زبيبة » تحته ولا أحد من العبيد الصغار معها .. لو تقدمنا أكثر من هذا لرأتنا ..

وأوقف الجميع خيولهم التى أخذت تموج فى حركات عصبية تحت الأيدى الحازمة التى تمسك بألجمتها وتمنعها من الحركة . وتقدم « شداد » حتى حاذى مالكا ، وظلل عينيه بيده من أشعة الشمس ، وقال وهو يحدق فى الأكمة

البعيدة : لابد أن الأولاد على مقربة ، فلنلزم الحذر ولنتجه إلى التل ..

قال « عامر بن ناقد » : هذا التل وراءه ، وداى السباع.

ضحك « الحرث بن شماخ » ، وهو يلوى عنق جواده ويتجه ناحية التل : لسنا وراء لبؤة الوادى ، وإنما نحن وراء جرو حقير من سود عبيدنا .

ولوى باقى الفرسان أعنة جيادهم ، وتبعوه فى صمت ..

***

قال شيبوب : هل ابتعدنا كل هذا الابتعاد عن «عبس» ومنازلها لنسمع منك شعرا فى آسرتك « عبلة » ؟! .. أنت تهزل فى وقت الجد يا « عنترة » !!

رفع « عنترة » رأسه إليه ، وقال : إنها لا تفارقنى أبدا إن ليلا وإن نهاراً .

قال « شيبوب » متسائلا فى حيرة وهو يتلفت حوله :

ـ من هى التى لا تفارقك أبدا ، إن ليلا وإن نهارا ؟

ـ صورة عبله ..

وسكت « شيبوب » ، وهو يحدق النظر فى وجه « عنترة » فى دهشة ، ثم قال : ـ لست أفهمك

يا « عنترة » •• أنت فى هذا الغضب الذى يحاصرك من فرسان القبيلة ، وهذا الحذر الذى يعاملك به عبيدها ، أم فى « عبلة » وصورة « عبلة » ؟!

قال عنترة : — لو أنى لم أكن ابن زبيبة الأمة ، لو أن أبى اعترف بأبوته لى ، لو أن أسماء قللت من كراهيتها للونى وعبوديتى ••

صاح « شيبوب » فى ضيق مقاطعا إياه : وماذا سنأخذ من لو ؟؟ لو أنك لم تقتل « داجى » ، لو أنك لم تفتك « بضاجر » ، لو أنك لم تغضب الأمير « شاس » ، لو أنك لم تحنق « الربيع بن زياد » ••

رفع « عنترة » رأسه من إطراقتها ، وقال فى حدة :

— كفى يا « شيبوب » ، من يسمعك يظن أننى قاتل سفاك ، لا يراعى حرمة ولا يقيم وزنا لأرواح الآخرين ، أنت تعرف أن الأمر فى كل حالة لم يكن من صنعى ، وإنما ••

— إذن كف عن لو هذه ، وكفى هذا العبوس والاطراق ••

نهض « عنترة » من جلسته ، ونفض التراب عن ثيابه ، وأخذ يجول ببصره حوله يتأمل التلال والهضاب ، وقال :

ـ سأريحكما من وجهى ، فأنا الآن فى دنيا الشعر ، ولن تطيب لكما رؤيتى إلا بعد أن أفرغ من صياغة مافى قلبى من حديث ..

أشار بيده إلى الوادى البعيد وقال : سأذهب إلى هذا الوادى أخلو فيه الى نفسى وإلى شعرى ، ولتهتم أنت « وجرير » بهذه الأبل ، فليس لى رغبة أن أراعى شيئا الآن ، غير نظم الكلمات ..

صاح « شيبوب » بانفعال : هذا الوادى ؟ أنت جننت ، هذا وادى السباع لا يدخله أحد ويخرج منه أبدا ..

ضحك « عنترة » وهو يقول : وادى السباع هذا يا شيبوب أرحم على يائس مثلى من وادى الآدميين ..

وهز كتفيه فى استهانة ، وعاد يقول : نحن فى هجير النهار ، ولم نسمع من قبل أن اللبؤة تترك مكمنها فى هذه الشمس اللافحة ..

قال « جرير » محذرا : إلا إذا كانت جائعة ، وكان أشبالها جوعى ، فهى لن تأبه بالشمس ولا بالهجير ..

عاد « عنترة » يقول فى لهجة الاستهانة والإستهتار :

ـ إذا كانت جائعة ، فأنا جائع .. وإذا كان القانون هنا ، المنتصر يأكل المهزوم ، فهو قانون مفهوم وصريح ،

وأنا أحترمه ، ولن ألومها ..

قال « شيبوب » في ضيق : ـ كفى جدلاً ، اذهب مكان ما تشاء ، فلسنا نخشى السباع إنما نخشى عليـــك من الآدميين ، وسأوغل أنا شرقا حتى تصبح عيني على الأكمة التى تجلس فيها « زبيبة » ، أما أنت يا « جرير » فاتجـه غربا وإياك أن تفوتك حركة تحمل شرا تأتى من ناحيتك ..

ووقف الاخوان يرقبان « عنترة » وهو يسير ببطء نحو الوادى ، ثم تبادلا نظرات خائفة حين اختفى عن أعينهما مع انحناءة الوادى .. وهز « شيبوب » كتفيـــه فى استسلام ، وقال : لا فائدة من إبعاده عما انتوى ، وهو يريد الوحدة ، وفي هذا الوادى المخيف .. هو حس الشعراء وجنون الشعراء ... وعلينا أن نراقبه ونكون على حذر ..

ثم أشار بيده فانطلق « جرير » إلى الغرب ، بينما أخذ هو يمشى ببطء ناحية الشرق ..

***

ترجل « شداد » عن جواده ، وقال : تترجل هنا ، فلن تتمكن من التسلل نحوه ونحن على صهوات الخيل ..

وفعل الفرسان مثله ، وربطوا خيولهم إلى وتد دقوه

فى الرمال ، ثم تحولوا يدورون حول الرابية .
بينما قال « مالك بن قراد » : ينبغى أن نباغته من حيث لا يتوقع ، ثم نستل سيوفنا بلا تردد وقبل أن يبحث عن سلاح ، ثم نقضى عليه بضرباتنا المشتركة ..
ضحك « عامر بن ناقد » ،وقال : علينا أن نجـــده أولا ، فهو وسط هذه الصحراء والتلال كقشـــة فى كومة تبن ..
فقال « شداد » : نتفرق إذن ، وليأخذ كل واحـد منا شعبا من شعاب الوادى ، ومن وجده منا أولا ، يسرع إلى هذه النقطة ، وينبح كنباح الكلاب ، فان سـمعنا النباح ، عدنا كلنا نتجمع هنا قبل آن نذهب وراءه ..
قال « عامر بن ناقد » : نعم الرأى ، وليكن النبـاح ثلاث مرات ثم سكتة طويلة ، ثم يتكرر هذا الأمر ثلاث مرات أخرى .. فنعرف أنها العلامة المقصودة ..
قال « مالك » : ــ هيا بنا ، ماذا ننتظر ؟ سأدخل أنا من هذا الشعب ، وليختر كل منكم الشعب الذى يريد ، ولنلزم الحذر فهذا الشيطان ماكر وخبيث .. وأخــواه أشد منه مكراً وخبثا ..



قفز عنترة في سرعة مجنونة ، فإذا هو فوق ظهر اللبؤة يغرس خنجره في عنقها

كان « عامر بن ناقد » هو أول من رأى « عنترة » يجلس فوق صخرة ، تحت ظل شجرة فى وادى السباع .. وكان « عامر » يسير شاهرا سيفه ، متلفتا حوله فى ريبة وحذر وهو يتقدم متفحصا ما حوله ، حين وقع بصره فجأة على « عنترة » ، فجمد فى مكانه وهو لا يصدق عينيه . كان الصبى يجلس هائما فوق صخرة ، وكأنه لا يبالى بما حوله ، وكان يحرك شفتيه بين الحين والحين ، يقول كلاما لا يظهر عنه ، وإنما يسمعه هو وحده فى داخله ، ثم يضرب فخذه بكفه فى إيقاع رتيب حينا ، مندفع حينا ، ويتمايل ويهتز ، ثم يسكن ويعود يحدق العينين إلى السماء وكأنه لا يرى شيئا ..

كان « عامر » يعرف الخطر الذى يتعرض له الصبى الذى يجلس وحيدا وأعزلا ، كما يبدو ، فى هذا الوادى الشهير بسباعه وذئابه ولبؤته القاتلة وارتسمت على شفتيه ابتسامة تجمع بين المرارة والاشفاق وهو ينسحب كما جاء ، بلا صوت ولا حركة تكشف عن وجوده فى هذا المكان .. وظل يتراجع بظهره إلى أن آمن ابتعاده عن نظر « عنترة » ، ثم تحول إلى الشعب الذى قاده إلى

الوادى وأسرع إلى مكان اللقاء المحدد بين الفرسان .



أخذ « شيبوب » يسأل نفسه عن معنى وجود هـذه الخيل الملجمة والمسرجة فى هذا المكان المنعزل ، ولم يجد أمامه إلا إجابة واحدة .. هناك إذن فرسان يتحركون على أقدامهم فى هذه الناحية ، ولا يتحرك الفرسان على أقدامهم وسط الصحراء والتلال إلا إذا كانوا يبيتون لأمر خطير ؟ ... ولكن الخيل عادت تشد انتباهه من جديد ، وسرعان ما استطاع أن يميز بينها حصان شداد وحصـان مالك . ولم يعد عنده شك فى هوية الفرسان الذين تركوا هذه الخيول وراءهم ، كما لم يعد عنده شك فى هدفهم من المجىء إلى هذا المكان ، والتحرك فوق الأقدام بدلا من فوق صهوات الخيول .. إنه « عنترة » ، هدف هذه الجماعة ، وهو وحده هناك فى الوادى يكتب الشعر، ويحلم « بعبلة » ، ولا يبالى خطر السباع .

وضحك شيبوب فى سخرية .. لقد آتاه السـباع ، ولكنهم لا يسيرون على أربع ، بل يسيرون فوق قدمين حذرتين ماكرتين تريدان أن تفاجئه وحيدا ، وأن تقتله فى صمت .. من يدرى ؟ ربما أشاعوا أن اللبؤة فتكت به

وحملت جثته إلى أشبالها طعاما مباحا .. وضحك فى مرارة ، وهو يحدث نفسه أنهم ربما أكلوه هم أنفسهم لو كان شيئا يؤكل .. ثم جمع حواسه المبعثرة وهو يحاول أن يصل إلى قرار فى الخطوة التالية التى يجب أن يخطوها ، هل يسرع إلى « عنترة » فيحذره ؟!! .. أم يتبع آثارهم الواضحة فوق الرمال ليعرف أين هم وماذا يفعلون ؟! .. أم يفرق هذه الخيل ويرسلها بعيدا ليضع أصحابها فى مأزق لم يحسبوا حسابه .. وقبل أن يصل إلى قرار سمع صوت النباح ، ثلاث مرات ثم صمت ، ثم ثلاث مرات وصمت ، ثم ثلاث مرات أخرى وصمت كامل .. وفى أول الأمر دهش للصوت ولصدوره من وسط التلال فلا كلاب هناك ، ولا يجرؤ كلب أن يقترب إلى هذا الحد من وادى السباع .. وهذا النباح لم يصدر عن كلب فالكلاب لا تعرف مثل هذا النظام فى النباح ... ولم ينتظر « شيبوب » طويلا ، بل أسرع إلى مصدر الصوت يطير فوق الصخور فى سرعة وحذر .

سمع « عنترة » النباح فانتبه من عالم الكلمات والأحلام والشعر ، فلما سمعه مرة ثانية ملأته الدهشة ، لو الذى سمعه كان زئيرا أو عواء لكان هذا أقرب لطبيعة المكان ،

فهذا واد أقل ما فيه من الوحوش الذئب ، أما نباح الكلاب فأمر غريب ، فلما سمع النباح للمرة الثالثة قفز من مكانه فى ترقب ، وأخذ يتلفت حوله فى حذر كان كل شيء ساكنا تماما .. حرارة الشمس لافحة وليست فى الجو نسمة هواء واحدة ، وكل ماحوله واضح فى ضوء الشمس الساطع ، وليس من صوت آخر ، وليس من حركة .. ولكن حذره الغريزى كانت قد أيقظته تلك الأصوات الغريبة على الوادى والمكان .. فأخرج سكينة من مكانها حيث كانت ترقد فى مخلاته ملفوفة بقماش سميك ، ووضعها إلى جواره ، ثم تلفت حوله بحثا عن سلاح آخر يصلح لمواجهة العدو ومهاجمته عن بعد ، ورأى أمامه غصن شجرة سميك ملقى إلى ناحية لعل برقا أحرقه من جذع الشجرة ، ولعل ريحا رمته بعيدا هنا ، ولكنه كان غليظا وسميكا وثقيلا فى يده حين رفعه عن الأرض ... وأمسك سكينه فى يد والغصن فى يد وأخذ يتلفت حوله فى حذر ، وهو ينظر فى جوانب الصخور ، ويتحرك فى الوادى بحذر ..

وفجأة حين رفع بصره إلى أعلى رآها أمامه ، تجثم فى تحفز فوق صخرة على حافة منحنى من منحنيات الوادى..

وتسمر « عنترة » فى مكانه يتأمل الصورة الغريبة الرائعة التى تطالعه . كان لايزال يحس إحساس الشاعر الذى كانه منذ لحظات ، ولهذا رأى فى الجسد المنساب جمالا ، وفى المخالب المتحفزة روعة ، وفى الوجه المتطلع نحوه نبلا أخاذا .. همس « عنترة » وهو يتراجع : إنه أنت ، لا ذئب ولا نمر ولا أسد فى جمالك ونبلك وعظمتك ، أنت ملكة الوادى .. أنت اللبؤة المخيفة القاتلة .. أنت الجلال والعظمة والشجاعة والنبل ..

وكأنما كانت اللبؤة تفهم ما يقول ، إذ حركت رأسها فى إصغاء غريب لهذا الصوت الصادر من الصبى الواقف أمامها دون وجل أو خوف ، ولم يجر كما تعودت من البشر ولم يصرخ ، ولم يقع فوق الأرض منهارا من رؤيتها ، فحركت ذنبها فى بطء وجعلت تتفرس فى هذه الفريسة التى تواجهها وقد بدأت عضلاتها تتحفز فى استعداد وترقب ..

كان « عنترة » كأنما سحرته يد ساحر عظيم ، ينظر إلى العينين اللامعتين فى انبهار . لم يكن يستشعر خوفا منها ، وإنما كان يستشعر نوعا من الترقب المغلف بالبهجة فهاهو يقابل اللبؤة ، صاحبة الصيت الذائع ، والحديث

المنتشر ، وهو لا يخافها ، وإنما هو يرقبهـا فى حـذر ، واشتدت قبضته على الغصن الغليظ فى يد ، والسكين الحامية فى يد ، وهو ينظر إليها فى تحـد وإصرار ... وهمس قائلا لنفسه : صنوان أنا وأنت يا ملكة الوادى وسيدة الوحوش لم يمر أحد بجوارك إلا وقد نالته أنيابك ومخالبك ، ولم يعترض أحد طريقى إلا نالته مخـالبى وأنيابى .. فماذا تريدين ؟ ليس لأحد منا بقاء إلا فى فناء الآخر .. ياملكة عذرا .. سامحينى ..

وفجأة وثبت اللبؤة دون إنذار ، وانحنى « عنترة »، وغاص إلى الأرض .



حين سمع الفرسان نباح الكلب ، ثلاث مرات ثم صمت، وثلاث مرات ثم صمت عرفوا أن أحـدهم عثر على أثر « عنترة » ، فاتجهوا جميعا إلى المكان الذى حـدده « شداد » .. وكان « شيبوب » عند حافة الصخرة يرقب الفرسان وهم يجتمعون ، واحدا وراء الآخر ، الكل يعود من شعب ما ، والكل يلتقى حول « عامر بن ناقد » ، وهو يقول شيئا ما ، يهمس شيئا ما ، فاذا الكل يضعون أيديهم على سيوفهم وينتظرون فى ترقب مقدم الفارس الأخير ..

حتى اكتمل الجمع ملتفين حول « عامر بن ثاقد » الذى أخذ يحكى ويتكلم ، وكان « شيبوب » يفهم الحديث الدائر دون أن يسمعه .. ولكنه كان حريصا أن يتبع الجمع وهو يتجه فى حذر تجاه وادى السباع .. هل يعود فيقطع الخيل عن الوتد الذى يربطها ، أم يتبع هو الجمع من الفرسان الذى يسير فى حذر وترقب .. لم يعد هناك شك هم يسيرون إلى حيث يجلس « عنترة » ، ومن الواضح أن هدفهم هو حياة أخيه ..

ولكن شيبوب ، استمر يتبعهم فى صمت ، وهو يعد قوسه ونشابه وينتظر ماذا سيحدث من أمر .. ولم يطل الأمر فبعد حين أطل الفرسان على الساحة التى وقف فيها « عنترة » فى مواجهة اللبؤة ، وكان « شيبوب » ينقل بصره بينه وبينهم ، حين وثبت اللبؤة من فوق الصخرة ناحية « عنترة » .

وصمت الجميع فى خوف كامل اشتمل الكل ، وتيبست أعضاء « شيبوب » فلم يعرف كيف يتحرك ، هل يسرع إلى ناحية « عنترة » ، أم يوقف زحف الفرسان العتاه ، أم يصرخ ويصرخ حتى يسمعه أحد ، وأخوه يموت تحت مخالب اللبؤة الجائمة التى لا تعرف رحمة ، ولا تبقى أحدا

قال « شداد » : قفوا هنا ، اللبؤة تهجم على الولد ..

قال « مالك » : ستقتله لا محالة ..

قال « عامر » : أسرعوا ننقذه إن كنا نستطيع هذا .

رفع « شداد » يده يمنع الفرسان من الحركة ، وقال :

ـ كل يلزم مكانه ..

وقال « مالك » : ستفعل اللبؤة ما كنا نريده من هذه الغزوة ، سيموت « عنترة » تحت مخالب اللبؤة .

صاح « شيبوب » فى انفعال نسى فيه حذره واختفاءه :

ـ ويك « عنترة » .. ويك « عنترة » ..

ولم يلتفت « عنترة » إلى صياح « شيبوب » فقد ألقم اللبؤة المهاجمة الغصن الغليظ ، ثم وثب بسرعة فوقها وأغمد سكينه فى عنقها ، ثم وثب والسكين يقطر دما ، وهو يجرى بعيدا عنها .

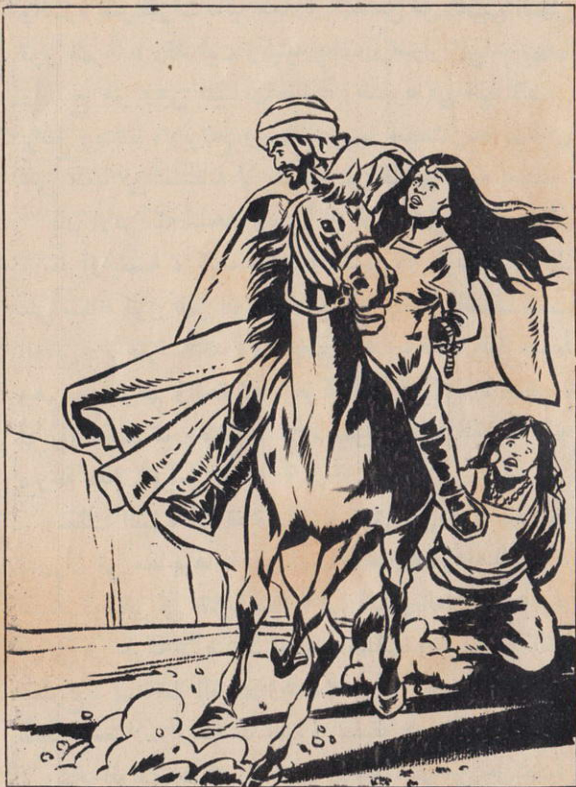
وصمت الفرسان حيث يقفون لا يصدر أحدهم صوتا وهم يشهدون شيئا مخيفا ، مامر ببال أحدهم أبدا ..صبى صغير يحمل عصا وسكينا ، يواجه لبؤة الوادى المخيفة التى لا يجسر أحد أبدا على مواجهتها ..

وقال « شيبوب » صارخا بكل مافى صدره من صوت :

ـ ويك « عنترة » ، أقبل .. أقبل ..

ودفع « عنترة » الغصن فى الفم المفتوح الرهيب للبؤة الواثبة ، ثم قفز بعيدا عنها ، ثم انثنى يقفز بسرعة مجنونة فوقها ، وغرس خنجره فى عنقها مرة ثانية ، ثم وثب يحمل خنجره يقطر دما ، وهو فوق ساقيه أمامها ، ينتظر .. ودارت اللبؤة تبحث عن العدو الصغير . واهتز ذيلها ثم نظرت إلى الصبى الصغير فى ازدراء ، ثم جمعت قواها ووثبت من جديد .. وكان عنترة يرقبها حين وثبت ، وثب هو إلى ناحية أخرى تماما ، فوقعت على الصخر ، ووثب من جديد فوقها ، يغرس خنجره فى عنقها ، من جديد .. من جديد .

وصدر صوت كالأنين من الفرسان المتجمعين حول مدخل ناحية من الوادى وهم يرقبون هذه المعركة بين اللبؤة المتوحشة والصبى الأسود الذى لا يخاف .. وشخصت إليه أبصارهم جميعا وهو يتفادى قفزة اللبؤة متقهقرا فى سرعة ، ثم يقفز فى سرعة مجنونة فاذا هو فوق ظهرها من جديد يغرس خنجره فى عنقها ، ثم يقفز مسرعا والسكين فى يده تقطر دما ، وهو يتحرك فى سرعة إلى الناحية الأخرى يتحاشى هجمة جديدة من الوحش الذى غدا عنقه كله يقطر دما .. ثم يقفز فاذا هو فوق ظهر اللبؤة الجريحة من جديد .. ونسى الفرسان أنفسهم ، كما نسى « شيبوب » صيحاته



مرّ أمام "وضاح بن القيصر" أحد الخيول المسرجة ، أمسك به ، ثم
جره إلى حيث "عبلة" فخطفها وهى تصرخ وتقاوم

واللبؤة تقفز قفزات عالية محاولة التخلص من الصبى الجاثم فوق ظهرها ، وقد ثبت ركبتيه بعنف وإصرار إلى جانبها وأصبح هو وهى شيئا واحدا ، وخنجره فى اليد اليمنى يرتفع ويهبط ، ويرتفع ويهبط ، بينما قبضت يده اليسرى على عنقها فى استماتة لا يحركها عن مكانها شيء ..

كان الأمر كله مذهلا وغريبا .. لا يستطيع العقل أن يتابعه أو يفهمه ، كيف استطاع الصبى الأسود أن يحافظ على مكانه فوق ظهر الوحش المجروح الدامى الغاضب الحانق ، لا يعرف أحد ، ولا يفهم أحد .. فقط رأوا جميعا وهم بين الوهم والحقيقية ، حركة اللبؤة الكاسرة تتعثر ، ثم رأوا جسدها يختلج ، ثم سمعوا زئيرها المخيف كأنه صرخة عذاب ويأس ..

وحطت اللبؤة أثر قفزة طائشة فوق الأرض ، وعيناها تدوران فى محاجرها ، وارتطمت اليد السوداء القوية لتغمد الخنجر فى ضربة صائبة فى أسفل العنق ، وتحرك الرأس فى حركة لا ضابط لها ، وانطلقت حشرجة من الفم المفتوح ، ثم نامت العينان وهمدت حركة الجسد ، وانفرج تقلص العضلات وسكتت اللبؤة المخيفة إلى الأبد ..

وساد الوادى صمت غريب ، الريح كفت عن حركتها

فسكتت كل الأغصان فى مكانها ، والشمس أثقلت من قيظها حتى التهب كل حجر ، وحتى توهجت كل ذرة رمل .. « وعنترة » راقد مكانه فوق الجسد الذى يختلج اختلاجاته الأخيرة فى استسلام ويأس .. ومعنى الموت يسود الوادى كله .. فالملكة التى طالما قهرت الفرسان والوحوش لقيت مصيرها الأخير ، ورقدت تنهى آخر أنفاس حياتها فى زفرات مؤلمة بطيئة ، حزينة .. والفارس يتخلص من الجسد المرمى بين ساقية ، وينتفض واقفا وسكينه فى يده تقطر دما ، وهو ينظر إلى الوحش المسجى أمامه فى حذر وترقب وانتظار ..

وفجأة اندفع شيبوب نحو أخيه وهو يصرخ ويلوح بيديه كالمجنون : ويك « عنترة » .. ويك « عنترة » ..

صاح « عنترة » : ابتعد يا « شيبوب » ، ربما كنت تخدعنا وتتظاهر بالموت ..

صاح « شيبوب » ، وهو يرقص طربا وفرحا : لقد قتلتها يا « عنترة » .. لقد قتلت اللبؤة قاتلة الفرسان ، وغدا الوادى آمنا ، لم يعد من اليوم وادى السباع ، وإنما غدا وادى قاهر السباع .. وادى « عنترة بن زبيبة » ..

نظر الفرسان المجتمعون فى جانب كل إلى الآخر ،

وقد ملأهم إحساس بالدهشة والخوف والاعزاز والخجل، كان كل شيء مختلطا أمامهم وفى داخلهم •• وأطـــرق « شداد » برأسه وهو يغمد سيفه الذى كان قد امتشــقه وهو يتقدم نحو الوادى وانسحب يجر أقدامه ناحية الخيل وتبعه باقى الفرسان وهم ينكسون رؤوسهم ، ويجـرون أقدامهم جرا ••

***

عادت « زبيبة » إلى الخباء وقد بدأت تحس بالقلـق لغياب أولادها الذى طال ، لم تكن بمستطيعة أن تصرف ذهنها عن « عنترة » ، كان ينتابها إحساس لا تدرى له سببا أو منبعا أنه يتعرض للخطر ، وأنه مهدد فى حيـاته وصباه ، ووجوده الحر الطليق الذى رعته وأعطته وقتهـا وعمرها كله ••

كان « عنترة » منفردا فى قلبها ، وكانت تحس بالتقصير تجاه ولديها الآخرين « جرير » و « شيبوب » كلما انتابها إحساس بالقلق على « عنترة » •• ربما لأنه كـان ابن « شداد » •• و « شداد » قد استحوذ على قلبهـا منذ اللحظة الأولى التى رأته فيها •• وكل هذا تبلور فى ابنهما معا •• فى « عنترة » ، سواء اعترف « شداد » بهذا أو

لم يعترف ، أبدا لم تكن سبية ولا أسيرة ، وإنما كانت امرأة محبة ، ترى فى رجلها الأمل والغد الواعد .

وأيقظها من أفكارها عدة صيحات تأتى من خلف الرابية من ناحية الوادى ، وقامت من مكانها تنظر إلى مصدر الصيحات ، فاذا « جرير » يجرى نحوها وهو يلوح بيده ، ويصرخ ، ثم « شيبوب » يحمل شيئا ثقيلا فوق ظهره ويجرى وراءه ، ومن بعدهما عنترة يسير مترنحا وهو يستند فى مشيته المتعرجة إلى غصن ضخم يحمله فى يده .. وبقلب خائف راقبت تقدمهم نحوها وهى تعجب للحمل الذى يثقل ظهر « شيبوب » ، ولهذه العصا الغريبة التى يتوكأ عليها « عنترة » .. وحدثها قلبها آنها آمام شىء مخيف وغريب ، وحاولت قدر طاقتها .. آن تهدهد إحساسا بالذعر يدفعها إلى أن تترك الغنيمات وتجرى ، لافى الاتجاه الذى يأتى منه أولادها ، وإنما فى اتجاه مضاد لا يعرف حدودا ولا هدفا .. فقط تجرى ، وتجرى ، وتجرى ..

وقبل أن تتحرك من مكانها وصل « شيبوب » ليرمى حمله أمامها ، وترتجف كل عضلة فى جسدها وهى ترى اللبؤة مضرجة بدمائها ، وكان « شيبوب » يلهث ، ثم جاء « جرير » يضحك كالمجنون ، وجاء « عنترة » ، وعيناه

تلمعان ويرمى غصنه المخضب بالدمـــاء تحت أقدامها ، ويصرخ فى نشوة : قتلتهايا أم .. قتلت اللبؤة المخيفة ، قتلت قاتلة الشجعان فى وادى السباع ..

ثم نظر إليها ورفع رأسه إلى السماء وهو يصرخ : وآنا عنترة بن شداد ..



مفاجأة فى أفراح الحلة

غادر الملك « زهير » ديار عبس ، ومعه الفرسان المحاربين وأتباعهم وعبيدهم المدربين على حمل السلاح واستعماله .. ولم يبق فى الشربة والعلم السعدى سوى العبيد والنساء العجائز والصغار .. وحين تجمعت النساء حول الغدير أصررن أن تعرض عليهن « زبيبة » رأس اللبؤة التى قتلها « عنترة » ومخالبها .. ولم تجد « زبيبة » بدا من أن تعود إلى دارها لتجلب المخلاة التى تحمل هذه الآثار الدامية ثم تفردها أمام المتحلقين حولها .

وقالت « سمية » : ما أبشع هذا .. لقد جز رأسها ومخالبها بكل قسوة .. أليس فى قلبه ذرة من رحمة ..؟ ووجمت « زبيبة » فلم تجد جوابا ، بينما اندفعت «عبلة» قائلة : بل ما أشجع قلبه وهو يواجهها وحده ، وقد أحجم

أشجع الفرسان عن مواجهتها والتصدى لها ، بل لقد قتلت من الفرسان الكثيرون ..

وتهلل وجه « زبيبة » ، بينما صمتت « سميه » وقد ظهر الضيق على وجهها .. وكفوا جميعا عن الحديث عندما ارتفعت أصوات المزاهر والدفوف والصنج تعلن بدء يوم من أيام المتعة البريئة للنساء المحرومات من كل متعة أثناء وجود الرجال فى الحلة ..

فقد كان من عادة النساء فى الشربة والعلم السعدى وهى ديار « عبس » ، أن يقضين نهارهن على حافة الغدير بين رقص وغناء وأكل وشواء إذا ما غادر الرجال والشبان الحلة .. وانتهزت « زبيبة » انصراف الجمع حولها إلى مصدر أصوات المزاهر والدفوف ، لتجمع المخلاة بين يديها وقد أعادت إليها ماكان فيها ، ثم أسرعت إلى الدار تخفى المخلاة عن الأنظار .. ثم عادت تقف إلى الباب ترقب الراقصات والعازفات والمغنيات فى نظرة ساهمة بعيدة ، وقد علت شفتيها ابتسامة حالمة ؟ .. قليلة هى أيام الرقص هنا ، أما هناك فى بلادها البعيدة وسط الغابات والأحراش والنهر الكبير المتدفق ، كل أيامهم كانت رقصا ، يرقصون حين الخروج إلى الصيد ، ويرقصون حين العودة من

الصيد ، ويرقصون حين نزول المطر ، وحين اكتمال القمر ، وحين حفلات الزفاف ، بل وحين وداع الموتى .. كان الرقص وسيلة لشكر الآلهة على نعمها ، واسترضائها حتى لا تغضب ، واستجدائها حتى ترضى ولا تفرق بين الأحبة.. وهاهي وحيدة بعيدة وقد غضبت عليها الآلهة ففرقت بينها وبين أهلها وعشيرتها .

ووجدت نفسها فجأة تفكر فى « عنترة » ، وهو يلوح أمامها وجهه النبيل الصغير وهو يرفع رأسه إلى السماء ويصرخ فى انتصار وزهو أنا « عنترة بن شداد » .. وكأنه يصرخ فى وجه القدر ، وفى وجه أبيه ، وفى وجه الفرسان الذين تحدوه والعبيد الذين أرادوا إذلاله وقهره.

وانتبهت « زبيبة » على صوت صيحات عالية كأنما هى أصداء لهذه الصيحة التى تخيلت أنها تسمعها ، فرفعت رأسها تنظر حولها ،ثم تسمرت مكانها ، وقد فتحت فمها فى دهشة ورعب ، وامتدت يديها تمنع الصرخة التى كادت تنطلق من بين شفتيها .. فمن كل مكان حول الغدير كان فرسان مجهولين يدفعون خيولهم المسرعة نحو النساء والفتيات والعجائز المتحلقات حول الغدير ، وقد أثارت سنابك خيولهم الغبار ، وملأت صيحاتهم الجو بضجيج

مخيف ، سرعان ما امتزج بصيحات النساء المذعورات اللاتى أسرعن يجرين هنا وهناك ، والفرسان يحاصرونهن بخيولهم وقد كونوا شبه دائرة واسعة أخذت تضيق حول نساء عبس.

منذ لحظات كان وقوع الدفوف والصنج وضحكات الفتيات وعبثهن يشيع فى المكان البهجة والأمان والحياة ، ثم تغير كل شىء فجأة ، وغدت صيحات الرجال وصهيل الخيل ووقع سنابك الخيل فوق الصخور لاتشيع سوى الذعر وشبح الموت المفاجىء وخوف الذلة فى أسر الغزاة.. ووجدت نفسها تتذكر فى مرارة .. يوم حاصرتها خيول فرسان عبس تمنعها من الهرب ، تماما كما يحدث لنساء عبس اليوم .. وجعلت تجيل نظرها فى وجوه النساء المذعورة الخائفة ، الشعور قد انفرطت وغطت العيون المذعورة ، والهواء يعبث بها فى قسوة ، وهى تزداد فوضى مع حركة الأجساد المتقلصة الخائفة ، وصرخات تخرق الهواء وتحيل الوجوه الآمنة إلى وجوه تعسة مرعوبة ، والعيون الجاحظة الباكية التى حجبت عنها دموع الخوف والقهر والرؤية ، فمضت صاحباتها تتخبطن وسط الحلقة التى تضيق وتضيق ..

وفجأة لمحت « زبيبة » وجها حبيبا إليها ، وقد شحب

وتملص وماتت الصرخات على الفم ، وجه « عبلة » .وهى تجرى هاربة مذعورة من فارس يجرى وراءها بفرسه ، وهو يحاول القبض عليها ، وهى تجرى كالغزال الشـارد المذعور ، وتفلت من قبضته مرة ، لترتمى تحت سـنابك جواده هربا من يده الممدودة ، ثم تجرى من جديد تحاول أن تخفى نفسها وسط جمع النساء المحتشدالمولول الصارخ المذعور .. وصرخت زبيبة مولولة : لا .. عبـلة لا .. لا يجب أن يحدث هذا لعبلة ..

وفجأة استدارت وأسرعت تجرى نحو المضارب وقلبهـا يدق فى عنف ، وليس على شفتيها سوى نداء صارخ بالأمل والخوف واليأس : ــ ويك عنترة .. ويك عنترة .



فارس يخطف "عبلة" ويأسرها

كان الفرسان الذين هاجموا ديار عبس جزءا من حملة من فرسان بنى قحطان عرفوا بأمر خروج فرسان عبس فأغاروا على الحلة والمضارب .. أما باقى الفرسان فقد هاجموا المراعى وقد أطمعهم المال الوفير الذى لا يحرسه سوى العبيد من الرعيان .. وكان « جرير » قد لمحهم يقبلون على المراعى وقد أثارت خيولهم غبرة عظيمة فأسرع يخبر أخاه « شيبوب » ، وقال له شيبوب :

ـ ما أظن إلا أنها حملة لأعداء عبس عرفوا بخلو الديار من الفرسان فانتهزوا الفرصة للاستيلاء على المال .. أسرع فأخبر « عنترة » ، حتى أذهب أنا وأستطلع الأمر .

وقبل أن يصل « جرير » بالتحذير إلى « عنترة » ، كان هذا قد رأى الغبرة المثارة ورابه أمرها ، فلما رأى جريرا



عاد "وضاح بن القيصر" فارس بنى قحطان الذى يهابه أشجع الفرسان
لينتهى من أمر الصبى الأسود

يجرى نحوه أيقن أن ظنونه فى محلها .. وقال « لجرير » الذى وقف يلهث ويحاول التقاط أنفاسه المتلاحقة :

ـ إما أنهم من فرسان عبس يعودون إلى الديار لأمر أو لآخر ، وإما أنهم فرسان مغيرون يعرفون بأمر غياب فرسان عبس ، فلا يقدم أحد على غارة وهو يعلن عن قدومه بكل هذه الغبرة ، إلا إذا كان شديد الثقة من خلو المراعى من الحماة ..

قال « جرير » : سيخبرنا شيبوب بأمرهم .

قال « عنترة » : لو انتظرنا « شيبوب » سيكون الوقت قد فات ، ولن تكون لدينا أى فرصة للمقاومة ..

ضحك « جرير » فى مرارة وهو يقول : المقاومة ! ! ومن الذى سيقاوم فرسانا مسلحين يهجمون وهم على صهوات جيادهم .. الأجدى أن تسرع بإخبار باقى العبيد لنهرب ، ونتركهم ينشغلون بأمر المال لنؤمن هربنا من سيوفهم أو أسرهم على أحسن حال ..

قال عنترة وقد لمعت عيناه ، وظهر الغضب على ملامحه :

ـ تريدنى أن أهرب ، وأترك هذا المال الذى كلفنى أبى « شداد » بحراسته ، حتى يعود ؟ هل جننت ؟ هذا لن يكون أبدا ...

قال « جرير » وهو يتنهد فى استسلام أمام عناد « عنترة » : وكيف ستقاومهم إذن ؟

أجال « عنترة » بصره فى الابل والخيل التى ترعى فى سلام حوله ، ثم فى العبيد الذين جلسوا حول المال فى تراخ وكسل وقال : لدى خطة لو نجحت لقضينا عليهم ..

وقبل أن يرد « جرير » على كلمات « عنترة » جاء « شيبوب » مهرولا وهو يسابق الريح فى عدوه ، وعندما وصل إليهما قال دون أن تفقد أنفاسه انتظامها :

ـ إنهم فرسان قحطان ، وهم فوق الخمسين فارسا ، وقد انصرف بعضهم إلى الحلة يغيرون عليها وهى خالية من الرجال ..

وصاح « عنترة » فى غضب : سيقتلون من يقف فى طريقهم ، وسيأسرون النساء ..

وفجأة صمت ، وصاح : عبلة .. إنها هناك وحيدة ، وليس فى الحلة من يحميها !!

ضحك « شيبوب » فى مرارة وقال : « عبلة » وحدها يا « عنترة » .. ؟ وأمك « زبيبة » و « سمية » وباقى نساء عبس ، كلهن هناك بلا حام ولا مدافع ..

وتحول عنترة يريد أن يسرع إلى فرس قريب ، فأمسك

به « شيبوب » قائلا : قبل أن تندفع إلى أى حركة أسمع منى جيدا •• لو ذهبنا إلى الحلة ودافعنا عن النساء سينهى هؤلاء الفرسان أمر العبيد والمال هنا ويلحقون بنا ، ولن يتركوا أحد منا •• سواء نجحت فى تخليص « عبلة » أم لم تنجح •• فكر فى هذا وعد إلى عقلك ••

وتوقف « عنترة » يجيل النظر فى أخويه ، ومد بصره إلى الغبرة البعيدة التى تتقدم نحوهم فى انتظام ، ثم صاح فى « جرير » : إجمع العبيد كلهم هنا يا « جرير » ••

وقال « لشيبوب » : أسرع معى يا « شيبوب » نسرج من الخيول ما نستطيع ، ونحضر ما خبأناه من أسلحة ورماح وسيوف وأقواس وسهام ••



كانت « زبيبة » تجرى ووجهها فى ظهرها ، وهى لاتصدق أنها تسللت من الحلة دون أن يراها أحد من الغزاة ، وكانت الحلة قد بدأت تقاومهم مقاومة يائسة ولكنها ضعيفة وغير مجدية •• شيوخ أخرجوا سيوفا طال مكثها فى إغمادها ، وحملوا رماحا بأيد واهنة عرفت فى عنفوان قوتها هز الرماح وقذفها ، ونساء حملن الصخور يرمين بها الفرسان ووجوه الخيل ، وصبية صغار حملوا العصى والملاءات يرمون

بها وجوه الخيل . ولـــكن ضربات الفرســـان كانت الأقوى ، ورماحهم كانت الأشد ، وسهامهم كانت الأنفذ ..

وجرت « زبيبة » وجرت ، تنظر وراءها كل حين ، ولا تكاد تنظر أمامها إلا لكى تتبين وقع أقدامها فوق الرمـال والصخور .. اليوم تعرف نساء عبس معنى الخــوف ، الخوف على الحياة والعرض ، والخوف من الذل والعبودية والقهر .. فى هذه الأرض لا معنى للأمان ، أنت يوما سيدة مصونة يتنافس الرجال على رعايتك وحمايتك ، وأنت فى يوم آخر عبدة ذليلة يتنافس النساء فى قهرك وإذلالك ، ويصبح أولادك أذلاء وعبيدا ورعاة للغنم .. « عنترة » ، حقا «عنترة» هو الأمل .. إجرى يا «زبيبة» إجرى..هذا الغبار من بعيد ، لعله لعبيد عبس يأتون لنصرة الحلة .. لا .. ومن أدراهم ..؟ من أدراهم أن الحلة فى خطر ! ومن يخبر « عنترة » أن « عبلة » فى خطر .!

وفجأة توقفت « زبيبة » عن الجرى ، وأسرعت تتسلق مرتفع وهى تنظر بقلب واجف إلى ماتحت الغبار المثار .. وأحست بيد من حديد تقبض على قلبها بعنف وهى تتبين الفرسان الذين يسرعون بخيولهم نحو المرعى ، إنهم فرسان قحطان لاشك باقى أفراد الغزوة التى دهمت الحلة ، يدهمون

الآن المراعى وقد تأكدوا أن فرسان عبس فى غيبة عن الديار والمراعى معا .. ونزلت من فوق الرابية وكل جسدها يرتجف وقلبها يدق فى عنف حتى لتهز دقاته صدرها هزات ... وأخذت تجرى ناحية المراعى من جديد ، وقد أحست أنها فى سباق مع هذه الغبرة .. لابد من تحذير « عنترة » .. كل أولادها هناك ، كل مالهـــا فى الحيـــاة « عنترة » و « شيبوب » و « جرير » .. وأخذت « زبيبة » تجرى وهى تهمس وسط دموعها وشهقاتها وأنفاسها اللاهثة .. ويك « عنترة » .. ويك « عنترة » ..

***

حين عاد « عنترة » و « شيبوب » محملين بالأسلحة التى كانت مخبوءة فى حنيات الجبل ، بعيدا عن أعين «شداد» وباقى العبيد ، كان « جرير » قد جمع كل من فى المرعى من رعاة وعبيد . وأجال « عنترة » بصره فيهم ، كـــانوا ينتسبون إلى كل بطون عبس ، وكان منهم العجـــائز والصبية والكهول . أما الشباب المقاتل منهم فقد صحبهم فرسان عبس معهم فى غزوتهم . ولـــكنه لم يدع لليـــأس مسربا يتسلل منه إلى قلبه ، فهاهم بضع عشرات من الشيوخ والكهول والصبيان ، ولكنهم كل من سيحمى المال ، وكل

من سيواجه به فرسان قحطان • ووقف بينهم قائلا وهو يشير بيده : هذه الغبرة تحتها فرسان بنى قحطان ، وقد جاءوا فى ثأرهم من عبس ، يريدون الأموال والنساء •• ونحن هنا وحدنا ولا فرسان من عبس معنا ، فالأمر لنا ، أما نهرب ، ونترك لهم الأموال والنساء ، وإما أن نقف ونقاتل وننقذ المال والنساء ••

وساد وجوم الجمع المحتشد حوله ، وتحولت عيون قلقة خائفة إلى الغبار المقترب فى إصرار وسرعة ، وتحركت بعض الأجساد تخفى نفسها خلف أجساد أخرى • وقال عجوز من العبيد يتوكأ على عصاه ، ويعبث فى لحيته فى عصبية :

ـ ماهذا الحديث عن الوقوف والقتال ؟ •• لو أرادت عبس حماية مالها ونساءها لماذا لم تترك من فرسانها من يحمون المال والنساء ؟ لا يابنى ، نحن نترك كل شىء ، ونذهب إلى شعاب الجبل نختبىء هناك ، حتى ينتهى كل شىء ••

بينما اندفع صبى مغبر الوجه مشعث الشعر يصيح فى « عنترة » : ماذا لنا فى مال عبس ، لم نأخذ منهم سوى الضرب بالعصا ، والسباب القبيح ، والتعريض بأمهاتنا وأنسابنا ، لنترك كل شىء ونهرب ، فهذا يوم التشفى فى

عبس ، ورجال عبس .

قال « عنترة » مسكتا همهمة الموافقة والتأييد التى صدرت من الجمع حوله :

ــ لو عاد فرسان عبس ووجدوا أموالهم قد ضاعت والحلة قد نهبت ، ونساءهن قد أسزن ، فلن يبقوا على أحدا منكم حيا ..

وسكتت الهمهمة تماما ، وسرت فى الجمع حركة قلقة بينما عاد « عنترة » يقول :

ــ نحن ننتمى لعبس ، وإن كان بعض من فى عبس لا يعطونا حقوقنا ، فان هذا لا يعنى أن تتخلى عن عبس فى محنتها .. ولن يعيش أحدنا عار المذلة ، إن عبس انتهكت وأنه وقت الخطر آثر السلامة والفرار بدعوى أن سادات عبس يسيئون اليه .. ان سادات عبس ليسوا هم كل عبس ، نحن أيضا عبس ، نحن وأمهاتنا واخواتنا ، ولن تنجوا واحدة منهن من سيف غادر ، أو أسر أكثر ذلة ماذا قلتم .. ؟

وهمهم الرجل العجوز ، وهو يعبث فى لحيته ، ثم قال : صدقت يا عنترة ، ولكن ..

قال « عنترة » : لا وقت للمناقشة ، إما أن تكونوا معى ،

أو ليهرب من يشاء منكم إلى جنبات الجبل ..

ثم التفت إلى جرير قائلا : ـ اجمع الصبية الصغار واجعلهم يحضرون كل الصخور والأحجار التى يستطيعون جمعها وليكوموها هناك فوق هذه الرابية إلى اليسار .. وليسرعوا فليس لدينا وقت نضيعه ..

وأخذ « جرير » ينادى الأسماء واحدا إثر الآخر ، والصبية يسرعون نحوه ، واندفع بهم إلى بطن الوادى يرفعون الصخور والأحجار ويهرعون بها إلى أعلى الرابية ، بينما قال « عنترة » للعبيد الباقين :

ـ أفيكم من يحسن رمى السهام .!

وتقدم نحوه مجموعة من الشيوخ من العبيد ، فصاح فى « شيبوب » : وزع عليهم الأقواس والسهام التى معنا ، وليذهبوا إلى هذه الناحية من الوادى ويكمنوا هناك ، ولتؤمر عليهم هذا الشيخ ذو اللحية ، وليضربوا الفرسان بسهامهم ، ويأخذوا وقتهم فى التصويب ..

وصاح « شيبوب » فيهم : هيا معى إلى هنا ..

وأخذ يوزع عليهم الأقواس والسهام بينما التفت « عنترة » لمن بقى قائلا :

ـ أما نحن فلنسرع خلف القطيع كله ، نصرخ ونلوح

بالملاءات ونضرب بالطوب حتى ينفر القطيع ويجرى عكس الناحية التى يأتى منها الغزاة ، ثم نجمعها خارج هذا الوادى وننتظر فاذا ما أقبل الفرسان وحاصرهم رماة الصخور ورماة السهام بينهم ، عدنا ندفع القطيع النافر نحوهم بكل سرعة .. وسأكون فى المقدمة على فرسى حاملا سيفى ، وليحمل منكم من يريد النبال أو العصى ..

وقبل أن يكمل كلامه صاح « جرير » :

ـ هذه « زبيبة » .. ماذا جاء بك يا أم ؟ ..

وأسرع « عنترة » نحوها وقلبه لا يحدثه بخير .. وكانت زبيبة مغبرة الوجه ، رسمت دموعها خطوطا وسط التراب الذى ملأ وجهها ، مشعثة الشعر ، مهدلة الثياب ، وكانت تلتقط أنفاسها بصعوبة وهى تقول :

ـ عبلة ، النساء ، الحلة ، لقد هجم الفرسان هناك .. وهم يهجمون عليكم هنا ..

قال « عنترة » وهو يربت على كتفها :

ـ اهدئى يا أم ، لا داعى للبكاء ، نحن نستعد للقاء المهاجمين هنا ، وبعد هذا سننظر فى أمر من هاجموا الحلة ، فبعد أن يقضوا على كل مقاومة هناك ، سيحاولون حمل كل مافى البيوت من أشياء ثمينة ، وسيشغلهم هذا وقتا

يتيح لنا أن تتدبر أمرنا معهم ، ابحثى لك عن مكان تختفين فيه ، فهذا الوادى لن يصبح آمنا بعد حين ..

وسمع صيحة شيبوب فالتفت ليجد القطيع يتحرك فى بطء أول الأمر ثم فى سرعة ، ثم أجفل القطيع ومضى يجرى مغادرا الوادى ، والجمال تسابق الخيول والأبقار فى جريها ووراء القطيع شيبوب ومعه العبيد .. وصاح شيبوب ..

ــ أسرع يا « عنترة » .. أسرع ..

وقفز عنترة فوق ظهر جواد كان يمر إلى جانبه ، وصاح بأعلى صوته وهو يلوح بملاءة فى يده يزيد من سرعة القطيع .

***

صاح « عامر بن زيد » قائد فرسان بنى قحطان فى هذه الحملة ملوحا بيده : المال ، إنهم يهربون بالابل والخيول والأبقار .. أسرعوا حتى لا يفلت منا المال ..

واندفع الرجال صارخين خلف القطيع الهارب ، وما أن توسطوا الوادى حتى انهالت عليهم أكوام من الحجارة ، وصرخت الخيل ، ونفرت ، وكادت تقع براكبيها ، ثم انهالت السهام ، وانثنى فارس فوق جواده وسقط على الأرض ، بينما صرخ الفرس فى صهيل أليم وقد أصابه حجر فى وجهه ، وسقط فارس آخر اصطدمت صخرة

ثقيلة بصدره ، وأخذ « عامر بن زيد » يجول بفرسه بين الرجال المضطربين يحاول أن يعيد شيئا من النظـــام إلى صفوفهم ، ولكن وابل الحجارة لم يتوقف ، ووابل السهام كان يصيب مقتلا بين حين وآخر ، فصاح برجاله :

ـ ترجلوا واحتموا بالخيل ، ولنصعد إلى هذه الرابية فمن فوقها تأتى هذه الحجارة ..

وما كاد الرجال يترجلون عن خيولهم وهم يمســكون بألجمتها كى لا تهرب ، حتى ارتجت أرض الوادى من وقع حوافر الخيول النافرة ، والأبقار المذعورة ، وخفاف الجمال المندفعة فى خوف وذعر أعماها عن كل شىء إلا الجرى إلى الأمام ، ووراءها رعاة عبس يصيحون كالمجانين وهم يدقون فوق قطع من الحديد والصفيح ، ويلوحون بملاءات ممزقة ويضربون بالصخور والعصى ، ووسطهم فارس فوق جواده يحمل سيفه ملوحا به فى الهواء وهو يصرخ صرخات مفزعة .. وتعالت صرخات الرجال والخيل تضربها بسنابكها ، وقفزت خيولهم فأفلتت ألجمتها من أيديهـــم المذعورة ، والقطيع يجرفهم أمامه كالسيل ، كحائط سميك من اللحم والعظم والحوافر التى تدك الأرض دكـا تجعلهـا تهتز وترتجف ، وتثير الغبار حولها وحولهم .. وأخذ « عامر بن

زيد » بمقود جواده فى عنف وهو يرى رجاله يتساقطون ويتحطمون تحت أقدام هذا الهول الزاحف ، ووثب على صهوة جواده ولكنه ماكاد أن يلتفت حوله حتى رأى السيف فى يد « عنترة » يهوى ليشج رأسه ، وتغيم الرؤية من حوله ، ويسقط من جديد تحت أقدام الخيل المذعورة والابل الثائرة .. ولما دخلت الحيوانات المذعورة الوادى مندفعة ، لم يعد فوق أرض الوادى غير أجساد الفرسان المحطمة وبعض الخيول المقتولة وحيوانات جريحة تملأ الجو بأصوات شكاواها ، وصاح « عنترة » فى « شيبوب » و « جرير » اللذين أحاطا به ومعهما باقى العبيد :

ـ أسرعوا وارتدوا ملابس هؤلاء الفرسان واحملوا أسلحتهم وأركبوا الخيول ، وحاصروا هذا القطيع وعودوا به وأدفعوه دفعا إلى الحلة وزيدوا من خوف الماشية والخيول ، أصرخوا بأعلى أصواتكم .. أما « جرير » وشيبوب وخمسة منكم فليتبعونى بعيدا عن القطيع المذعور سندخل الحلة من جانبها الأيمن لنذيق الفرسان طعم سهامنا ..

صاحت « زبيبة » وهى تجرى نحوه خارجة من مخبئها

فى جنبة الجبل :

ـ ولكن القطيع المذعور سيحطم كل ديار الحـــلة يا « عنترة » ..

قال عنترة : ـ لن يدخل القطيع الشربة والعلم السعدى وإنما سيمر أمامها ، سيدهم الغدير وما حوله حيث يترك الفرسان خيولهم ... وأنت يا أم أركبى ناقة من هذه ، وأسرعى وراءهم حيث يترك الفرسان خيولهم ..

***

حين انتهت المقاومة اليائسة التى حاولها الشيوخ والعجائز وبعض الصبية والنساء ، بموت أكثر من واحد وجرح كل المقاومين جروحا أعجزتهم عن الحركة ، ترك الفرســان خيولهم عند الغدير ، وأخذوا يدخلون الدور دارا دارا ، يخرجون منها النساء الفارات ، والصبيات المذعــورات ويقيدوهن عند مداخل الدور دارا دارا ، ثم يحمــلون كل النفائس والأموال والذهب والفضة الذى يجدونه داخل الدور ، ويكومونه إلى جوار النساء المقيدات وهم يتبادلون النكات والتعليقات القبيحة ، وقد استخفهم الطـرب بمــا أحرزوا من نصر سهل .. وصاح وضاح بن القيصــر ، قائدهم فى الحملة على الحلة وهو يضحك ويأكل فخذا من

الشواء الذى كان معدا لطعام النساء :

ـ انتظروا حتى يرى « عامر بن زيد » هذه الغنائم .. هذا حقا يوم لنا على عبس لن تنساه أبدا ..

وأخذ يجول ببصره فى مداخل الدور حوله ، وهو يقول : وكل هؤلاء النسوة ، وهذه الصبية النافرة لقد دوختنى حتى أسرتها .. ولكنها نعم الغنيمة ، لو لم أفز بشىء غيرها لكفانى ..

وأخذ يضحك ، وهو يشير بعظام الفخذ فى يده ناحية « عبلة » المذعورة ، المكومة بشعرها المحلول فوق كتفيها إلى جوار أسماء .. وهمست « عبلة » :

ـ لو لم يأخذ هذا المخلوق السكين من يدى عنوة لقتلت نفسى ..

همست أسماء : وكنا نعاير زبيبة بأنها جارية أسيرة .. ها نحن نلقى نفس المصير .. ترى أين أنت يا « زبيبة » ؟..

همست « عبلة » : وأين أنت يا « عنترة » ..؟

وكأنها فى استجابة لسؤالها اهتزت الأرض بعنف وامتلأ الجو بصرخات ، وصهيل وثغاء ورغاء .. واكفهرت السماء من سحابات الغبار التى علت الحلة ، وموج هائل مخيف من الماشية يندفع بعنف نحو الحلة .. وصاح « وضاح

ابن القيصر » : الماشية أجفلت ، أسرعوا إلى خيولكم ..

وهرول الرجال إلى حيث ربطوا خيولهم فتلقاهم وابل من السهام المحكمة التصويب ، وأحدثت هذه السهام اضطرابا بينهم إذ حالت بينهم وبين الجياد ، وقبل أن يفيقوا من اضطرابهم كانت الماشية المذعورة تدهمهم فى عنف ، فتساقط عدد منهم تحت أقدامها ، بينما أسرع الباقون يحاولون النجاة بالاختباء فى بيوت الحلة ، وخرج «عنترة» على رأس العبيد المسلحين يبحثون عنهم ، ودلتهن النساء المقيدات على أبواب الدور على أماكن اختفائهم ، واقتحم العبيد الغاضبون الدور التى لجأ إليها الغزاة ليقبضوا عليهم.

وكان « وضاح بن القيصر » يرقب هذا من زاوية إلى جوار بيت مالك بن قراد ، وقد امتلأ قلبه بالغضب والخوف والدهشة معا .. وما أن مر من أمامه أحد الخيول المسرجة حتى أسرع يمسك به بيد من حديد ، ثم جره معه إلى حيث جلست عبلة مقيدة ، فحملها وهى تصرخ وتقاوم ووضعها أمامه فوق الجواد ، وأسرع يجرى بها مغادرا مكان المعركة بكل مافى الجواد من سرعة ، بينما أخذت «أسماء» تصرخ وتولول ، وقيدها يمنعها عن الحركة .

وخرج « عنترة » من الطريق المقابل وقد تلطخ سيفه



إستمع الملك "زهير" من زوجته الملكة "تماضر" إلى قصة ما حدث فى الحلة والمراعى أثناء غيابه هو وفرسان عبس

بالدم ، وامتلأ وجهه بالتراب والعرق ، فرأى أسماء وهى تولول وتصرخ وحل عنترة وثاقها وهى تصيح به :

ـ لا عليك بى ، أسرع « عبلة » .. اختطفها فارس وهرب ..

وما أن تخلص ذراعها من الوثاق حتى أشارت إلى حيث اختفى الفارس والفرس وعبلة :

ـ من هنا .. أسرع .. أسرع ..

ولم يكن « عنترة » يحتاج إلى إضافة جديدة ، فأسرع يقفز فوق جواد عابر ، ويندفع إلى حيث أشارت أسماء ، التى أخذت تبكى وتهيل التراب فوق رأسها وهى تنوح قائلة : أين أنت يامالك ، أين أنت ياشداد ، ضاعت « عبلة » ..

وأحست بيد تربت فى حنان على ظهرها فرفعت رأسها لترى « زبيبة » مغبرة معفرة ، وهى تنحنى فوقها وفى عيونها تساؤل وخوف ، وكأنما هى تخشى أن تسمع ما ستقوله أسماء التى ما أن رأتها حتى اندفعت تبكى من جديد وهى تقول بين نشيجها وأنفاسها المتقطعة :

ـ لم أجد إلا الصبى « عنترة » ، وقد هرول وراء مختطفها ، عبلة .. سيدة بنات عبس اختطفها الكلب وضاع

ابن القيصر وهرب ..

قالت زبيبة : وعنترة وراءه ..

صاحت أسماء : ـ وما عنترة وهذا الأمـير ، أين أنت يا « مالك بن قراد » لترى ماحل بابنتك ..

همست زبيبة وفى نظراتها سهوم وشرود :

ـ عنترة الصبى العبد ، هو الذى دحر بنى قحطان ، وهو الذى حمى الحلة .. وهو الذى سيعود « بعبلة » .. اليوم تعرفون من هو « عنترة » ؟



"عنترة" يبارز القائد وضاح

لم يكن الجواد الذى قفز عنترة إلى ظهره مسرجا ، ولكن عنترة كان قد تعود على ركوب الخيل دون سرج فى مرانه الدائم فى المرعى ، ولهذا فهو لم يلق بالا إلى غياب السرج واللجام ، إذ كان يستطيع أن يوجه حركة الجواد بعقبيه وركبتيه ، واستطاع بهذا أن يندفع به كالسهم وراء الجواد الهارب الذى يحمل « وضاح بن القيصر » ،وأسيرته « عبلة » .. ولم يكن « وضاح » متمالكا لنفسه تماما ، فهاهو فى قمة النصر على عبس ، يتوقع قدوم المال الذى جمعه عامر بن زيد من مراعى عبس ، وقد تكومت من حوله الأموال والنفائس والحلى والنساء ، وإذا بكل شىء فجأة ينهار ويتغير ، وهاهو يجرى وحده وقد ترك كل فرسانه ، إما قتلى وإما جرحى وإما أسرى ، والجواد الذى يركبه

نافرا لا يهدأ وكأنما يريد أن يرميه من فوق ظهره ، والفتاه أمامه تضرب بقدميها ويديها رغم مايكبلها به من قيود وهى لا تكف عن الصراخ والبكاء والعويل •• وانطلقت من فمه لعنات يصبها على كل شيء •

فقد كان متأكدا من أن الحلة والمراعى خالية من فرسان بنى عبس قبل أن يبدأ حملته هذه ، بل لقد أرسل الشواهد الكاذبة للملك قيس تغريه بمضارب بنى عبس حتى تخلو الحلة من الفرسان •• ثم يحدث هذا ، كيف حدث وأين الخطأ ؟ •

وقبل أن يجد إجابة على سؤاله الحائر ، التقطت أذناه صوتا دله على أن هناك من يتعقبه ، وملأه الرعب فجأة ، فزاد من سرعة جواده وهو يسب ويلعن ، ورفع يده يصفع الفتاه القابعة أمامه فوق السرج ، ففقدت وعيها وصمت صوتها •• وتمكن أن يسمع بوضوح الصوت الآتى من خلفه فتأكد أنه صوت جواد واحد •• وخف رعبه بعض الشيء وتمالك نفسه ، فلو أن من يتعقبه كان فارسا واحدا فالأمر هين وبسيط فهو لا يهاب نزال أى فارس من فرسان عبس • ونظر وراءه ، ثم أخذ يضحك فجأة •• فقد كان الذى يتعقبه صبى أسود يركب فرسا ضخما عارى الظهر ،

وكان الصبى يلوح بسيف فى يده .. إذا كان هذا هو كل الخطر الذى يتهدده فقد هان الأمر وأصبحت سلامته مؤكدة ، وضحك من جديد وهو يزيح الفتاة من السرج أمامه لتقع على الأرض ، فهناك وقت كاف لانهاء هذا الصبى ، وعودته إليها ، ثم امتشق سيفه ، وعاد مسرعا لينتهى من أمر هذا الصبى الأسود المجنون ، الذى ظن أنه يستطيع أن يتعقب وضاح بن القيصر فارس بنى قحطان الذى يهاب لقاءه أشجع الفرسان ..

***

كانت الدموع والصرخات تنهمر من عيون وحلق «عبلة» دون أن تحسها فما كانت تريد أن تبكى أو تصرخ ، كانت شجاعتها الموروثة تمنعها من هذا ، وكان اعتزازها بكرامتها يأبى عليها أن تتهاوى هكذا ، ولكنها كانت تعرف اليأس فى أقصى مراحله ، فهاهى ترفع فى الهواء وتوضع فوق سرج جواد ، وتمسكها يد غليظة قوية ويجرى بها الجواد ، وهذا الرجل المرعب الذى كان منذ قليل يلوح بضلع الغنم المشوى فى يده ، يحملها إلى المجهول ..

ومرت كل أحداث حياتها السعيدة أمام عينيها ، عناية أسماء ، رعاية « زبيبة » ، وجه أبيها الحنون ، ووجه عمها

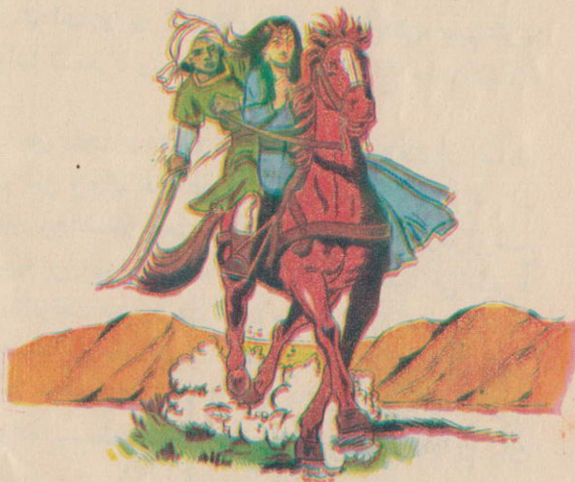
القاسى الذى يخفى خلفه الحنان والحب ، ثم وجه «عنترة» الذى يرفض العبودية ، وها هى الآن مســوقة إلى نفس مصيره وربما أسوأ ، وفجأة أحست أن الجواد الذى يحملها يسرع فى جريه ، وأن أنفاس الرجل خلفها تتردد فى عنف وسرعة الخوف والذعر ، وملأها الأمل ، لعل فرسان عبس قد وصلوا ، ولعل النجدة آتية ، ونظرت وراءها فــرأت الصبى الأسود فوق الفرس الضخم يلوح بسيفه ، فهمست فى ابتهال وخوف عنترة !!

ثم أصابتها ضربة قوية ، وأحست بكل شىء يغيم حولها وأنها تسقط ، وتسقط ، وتسقط فى فراغ مظلم كئيب .



حين فتحت « عبلة » عينها من جديد ، عرفت أن إغماءتها لم تطل ، وأنها قد ألقيت من فوق ظهر الجواد ، إذ رأت الفارس الضخم يهجم بفرسه على « عنترة » وهو يرفــع سيفه فى الهواء بساعده القوى ، وغاص قلبها فى صدرها وقد توقعت نهاية « عنترة » ، ولكنها رأت الصبى ، يدور بجسده إلى جانب الجواد فتطيش ضربة السيف ، ثم يعتدل فوق جواده ليقفز فجأة إلى صدر الرجل فيطيح به من فوق جواده ليسقط مضعضع الحواس فوق الأرض ، ثم رأت

« عنترة » يقفز واقفا من فوق جسد الرجل الطريح على الأرض ثم يصرخ صرخة وحشية وهو يرفع سيفه ويهوى به فوق عنق الرجل الذى حاول أن يتحرك من مكانه ، ليجز السيف رأسه جزا ، وتنفجر الدماء ، ويترنح الجسد وتهتز الرأس فى شكل مضحك مخيف ، وعنترة يصرخ ، والجواد يصهل ، « وزبيبة » تنادى عليها من بعيد .. ثم فقدت الصواب من جديد .





موقف الملك "زهير" من "عنترة"

استمع الملك زهير من زوجته الملكة تماضر إلى قصة ماحدث فى الحلة والمراعى أثناء غيابه هو وفرسان عبس ، فى دهشة وذهول .. وضرب كفا بكف وهو يقول :

ـ عنترة يفعل كل هذا .. ؟

واستأنفت « تماضر » حديثها المتحمس قائلة :

ـ وأنقذ « عبلة » من مختطفها ، لقد تفوق عنترة على وضاح بن القيصر فارس بنى قحطان ، وقائد غزوتهم على ديارنا ، وقد قتله أيضا بسيفه وعاد « بعبلة » فوق جواده وجسده كله ملطخ بالدماء .. وأعاد حزننا فرحا ، وصراخنا زغاريد وضحكات وبهجة ..

وهز الملك « زهير » رأسه ، وكأنه لايزال غير مصدق لما يسمع وقال :

ـ مجموعة من العبيد والشيوخ والصبية يقودهم هـذا الصبى يهملون كل هذا بفرسان بنى قحطان ؟ ! .

ثم ضحك وهو يمر بكفه فوق لحيته وقال :

ـ انتظرى حتى يسمع العرب بهذا الأمر .. صبية بنى عبس يهزمون غزاة بنى قحطان ..

ثم استخفه الطرب وجعل يضحك من جديد ، ونظـرت إليه « تماضر » فى حدة وقالت :

ـ كل مايهمكم معشر رجال عبس هو سمعة عبس وأمجاد عبس ، أما هذا الصبى الذى صان هذه السمعة والأمجاد ، وحمى الأعراض والنساء فلا شأن له عندكم ..

كف زهير عن ضحكه ، والتفت إلى « تماضر » قائلا :

ـ هذا الصبى فى رعايتى منذ زمن .. فقد أنقذه مالك من الموت مرتين ، ووقفت إلى جوار مالك وإلى جـواره فى كل مرة ، وكأننى كنت أحس أننى أدخره لشىء كهذا ..

قالت « تماضر » وهى تلوح بيديها كأنما لتؤكد كلامها :

ـ لن تجد امرأة أو فتاة فى عبس كلها اليوم ، لا تتصور فيه بطلها الخاص الذى أنقذها من مصير هو أشـر مـن الموت ، إن لم يكن هو الموت ذاته ..

قال الملك زهير :

ـ سأمنحه جوادا وعدة فارس كاملة وسيفا .. صقيلا مهندا .

قالت تماضر :

ـ أتظن هذا يكفيه ؟؟ إنما يريد حريته ، تلك الحرية التى منحها لنا كلنا بشجاعته وذكائه ..

تنهد الملك زهير وقال :

ـ هذا متروك لشداد ، فهو أبوه ، وهو الذى يملك الأمر كله .

ألحت « تماضر » قائلة :

ـ ربما لو ألححت عليه لأستمع إلى كلامك .

تنهد الملك « زهير » وهو يقول :

ـ كل شيء ممكن أن ألح فيه إلا ما يخالف صميم شريعة العرب . لا ، هذا أمر لا يحكم فيه إلا « شداد » وحده ..

***

قال « شداد بن قراد » فى عصبية :

ـ أعرف ، أعرف .. هو يستحق كل تكريم ، وسأجعله مقدما على كل عبيدى ، ورئيسا عليهم ، وسأقرر لأمه وأخواته مكانا كريما فى الدار .. ألا يكفى هذا ..

قال الأمير « مالك بن زهير » :

ـ هو يريد إعترافك به وبأبوتك له .. ولن يرضيه إلا هذا ..

قال « مالك بن قراد » :

ـ بل ماعرضه شداد يكفى .. فلا ينبغى فى لحظة اعتراف بالجميل أن ننسى تقاليدنا وشريعتنا ..

قال الأمير « مالك » :

ـ حتى بعد أن أنقذ ابنتك وصان عرضك ، ومالك ، ومال عبس كلها .

أطرق « مالك بن قراد » فى وجوم ، وقال :

ـ هو يريد أن يرغمنا على منحه حريته ، ويزداد بهذا أمله فى « عبله » .. لا ، هذا لن يكون أبدا ، أسمعت يا « شداد » ، لو فعلتها ماعرفتك ..

ثم صمت وهو يدير عينيه فى الحاضرين ، وقال :

ـ ولن يغفرها لك أحد من عبس .. أليس كذلك . أخبروه ..

وأطرق الجميع واجمين ، وانزلقت أنظارهم إلى الأرض .. ونظر إليهم « مالك بن زهير » ، ثم هب واقفا ، وجمع عباءته حول جسده ، وقال :

ــ ماذا تريدون منه أن يفعل فوق مافعل ليثبت أنه واحد منكم ..

وغادر الجلسة ، وقد سادها الوجوم والقلق ، والصمت الخجول ..

***

قالت أسماء وهى تضم « عنترة » إليها فى حنـــان ، ووجهها كله يضحك فى بشر :

ــ أنت أنقذت حياتى ، فأنت ابنى من الآن يا «عنترة» ..

نظر إليها عنترة فى دهشة وهو يقول :

ــ أنقذت حياتك ؟ لماذا ياخاله أسماء ، لقد كنت سالمه إلى جوار باب الدار ..

قالت « أسماء » وهى تضحك :

ــ حين أنقذت « عبلة » أنقذت حياتى كلها ..

ضحكت « عبلة » وهى تقول :

ــ ولن تغضبى لأنه يسقينى اللبن قبلك ..

وأخفى « عنترة » وجهه خجلا ، بينما ضحكت « زبيبة » وقالت « أسماء » :

ــ من الآن لن يشرب أحد اللبن من يده إلا بعدك أنت يا « عبلة » ..

قالت « عبله » :

ـ ما كل هذا الخماس المفاجىء •• من يسمعك الآن لا يعرف ماذ يصدق ؟!

قالت « أسماء » :

ـ بل صدقينى من الآن ، « عنترة » فى منزلتك عندى « ياعبلة » ••

ضحكت زبيبة فى سعادة ، وهى ترقب حمرة الخجل تغزو وجه عبله ، وقالت :

ـ ماخلق عنترة إلا لعبله ••

قال عنترة :

ـ كفى يا أم ، فهذا كلام لا يقال فى حضرة « عبله » ••

اندفعت عبلة تقول :

ـ أنت أنقذت ماهو أثمن من حياتى ياعنترة ••• ولن أخجل من كلمات خالتى زبيبة ••

قال « عنترة » : حتى وأنا عبد ••

وساد الوجوم الجميع ، وقالت « عبلة » : لست عبدا يامحررنا كلنا من العبودية ••

وقالت « أسماء » :

ـ مثلك سيحفر اسمه فى وجود عبس كلها ، ولن يجرؤ

أحد أن يحرمك من حقك ..

قالت « عبلة » :

ـ ومثلك لن يسكت عن حقه أبدا ...

قالت « زبيبة » :

ـ يوما ما يابنى ستكون سيدا وحرا ، لأن نفسك نفس سيد وحر ..

همس « عنترة » :

ـ يوما ما سيعرفنى الجميع باسم « عنترة بن شداد » ..

قالت « عبلة » وفى عينيها تألق ، وفى وجهها حمرة وعلى شفتيها وعد :

ـ « عنترة بن شداد » فارس بنى عبس ، وسيد من سادات العرب يفخرون به وبأفعاله ، وأفخر أنا به وبأمجاده.

العدد القادم



كتب الهلال للأولاد والبنات

عند ما تضحك الشعوب

ضحك × ضحك مع حكايات الشعوب

كتبها : سمير عبد الباقي
رسمها : جلال عمران

رحلة الضحك مع الشعوب ..
مصر ، الصين ،
الهند ، تركيا ،
أفريقيا



الثمن ٢٥ قرشًا
عدد ١٠ ابريل ١٩٨٤

رئيسة التحرير
ماما جميلة

صدر من هذه السلسلة :

١ ـ نوادر جحا	ماما جميلة
٢ ـ الحقيبة الطائرة	يعقوب الشاروني
٣ ـ الفيل وحبة الترمس	سمير عبد الباقي
٤ ـ أريد أن أعرف	دائرة المعارف
٥ ـ مولد البطل : عنترة بن شداد	فاروق خورشيد
٦ ـ لغز الانسان الآلي	راجي عنايت
٧ ـ نوادر الحيوانات	ماما جميلة
٨ ـ ١٠٠ نكتة ونكتة	حجازى
٩ ـ المعجزة	علية توفيق

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ١٢ عددا ـ فى جمهورية مصر العربية ثلاثة جنيهات مصرية بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى ·

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج·م·ع نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال · وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب ·

اسعار البيع للجمهور فئة ٢٥٠ مليما للقارىء فى مصر

فى البلاد العربية

سوريا ٥٠٠ ق · س ، السودان ٦٠٠ مليم ، لبنان ٥٠٠ ق · ل ، تونس ٦٥٠ مليما ، الاردن ٣٥٠ فلسا ، المغرب ٨٠٠ فرنك ، الكويت ٤٠٠ فلس ، الخليج ٤٥٠ فلسا ، العراق ٩٠٠ فلس ، غزة والضفة ١٨٠ ليرة ، السعودية ٥ ريالات ، اليمن الشمالية ٤ ريالات ، عدن ٥٠ بنى ·

رقم الايداع : ٨٤/٢١٥٠





عبلة والصبى المقاتل



يواصل عنتره بن شداد سلسلة بطولاته العظيمة التى فاقت كل خيال ، فجأة ظهرت له فى وادى السباع ، اللبؤة آكله اشجع الشجعان ، ودار صراع رهيب بينه وبين الوحش الكاسر فمن يفوز ؟!

خطف عبلة ، فارس من بنى قحطان ، وتبعه عنترة ، فهل يتمكن من استرداد عبلة ؟!

كيف سيواجه عنترة كل هذه الاهوال وغيرها انها البطولة العربية فى اروع صورها .

الثمن ٢٥ قرشاً

AUTHOR-> M.RAAFAT
DATE-> 9-2-2015
TYPE-> ARABIC - COMICS
Made By :
M.RAAFAT & RABAB